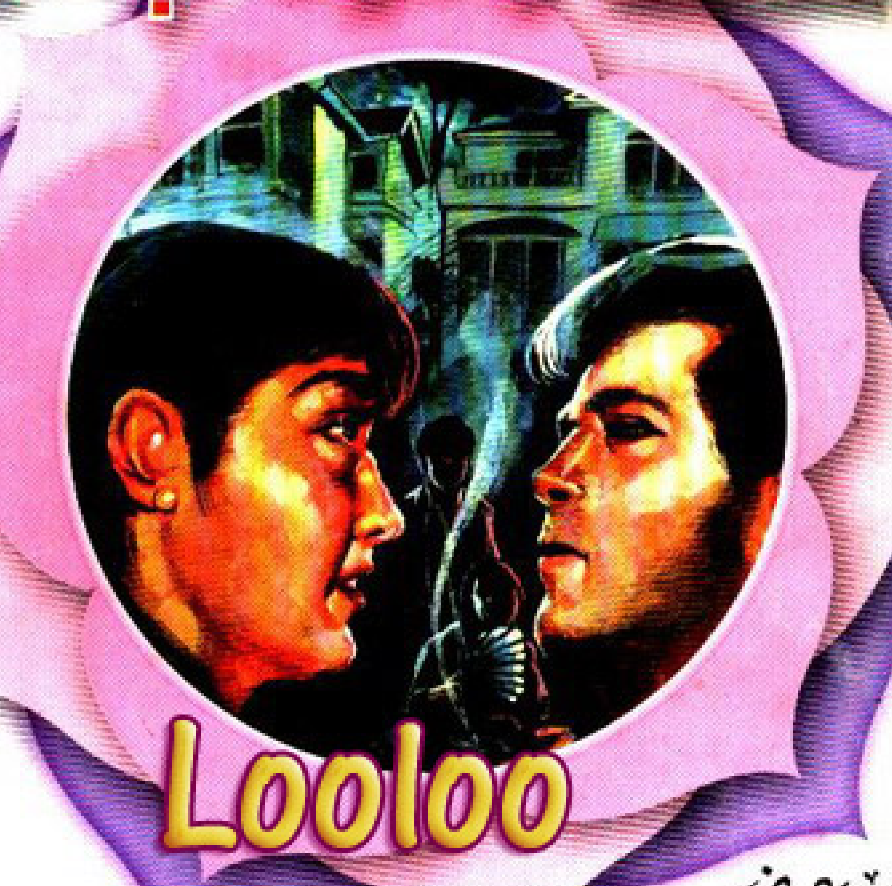
روايات مصرية للجيب

زهور

105

زائرة جنيف



فوزي عوض



هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحب الذى يروى هذه المشاعر .

فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فيشع عبيرها الفوّاح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

الفصل الأول

راح الطفل الأسمر ابن السنوات العشر ، يتطلع إلى الطريق الضخم الخاوى تمامًا ، وهو يغنّى بصوت مرتفع :

« أنا وانت لوحدنا ... »

وفهمت أخته الشابة أنه يعنيها ، فلم تملك إلا الابتسام متسائلة ، وهى تهوّى بمروحتها الريشية على الذرة المرصوصة فوق الفحم المتوهّج :

ـ ماذا يا (أبو على) ؟ هل جُعت ؟

وكان رد الطفل ، وهو يقشّر « كوز » ذرة فى يده :

ـ جُعت ونعست يا وردتى .

ـ حاضر يا حبيبى .. سأشوى هذين « الكوزين » فقط .

هتف (حسن) متعجبًا :

ـ تشويهما لمن يا (وردة) ؟ ألا ترين كيف خلا الطريق علينا ؟ لقد اقتربنا من الفجر ، ولم يعد هناك فى هذا الخلاء سوانا أنا وأنت ، وتلك السيارات المجنونة التى تمرق ما بين الحين والحين .

وكان رد (وردة) بابتسامتها الحلوة :

ـ اصبر يا (أبو على) ! إن شاء الله سوف يأتى زبون حلو ، يشترى هذين « الكوزين » الحلوين ، وننصرف بعدها فورًا .

ولم يملك الطفل إلا الإذعان لأخته الكبيرة ، وراح يشغل نفسه بتقشير « أكواز » الذرة .. بينما راحت (وردة) تزيد من سرعة حركة يدها بالمروحة فوق الذرة الذى يُشوى ، وهى تدندن بأغنية (ديانا حداد) : « زى السكر » ..

كان الشقيقان يفترشان مكانهما المعتاد على بعد أمتار قليلة من قرية (مارينا) ، حيث تمتد من خلفهما سلسلة قرى الساحل الشمالى بمحاذاة البحر ، بينما يمتد أمامهما بالناحية الأخرى من طريق « مرسى مطروح » فراغ الصحراء الخاوية ، إلا من بعض بيوت البدو البسيطة المتناثرة فى جوف الصحراء ..

ولم يكن الوقت وقت بيع أو شراء فى هذا الخلاء .. ولم يكن سهر (وردة) هكذا طمعًا فى مزيد من البيع ، كما كانت تزعم لشقيقها الصغير كل ليلة ، وإنما كان السبب الحقيقى هو تلك الألفة ، التى صارت تربطها بهذا المكان ، خاصة فى هذا الوقت من ليالى

الصيف ، حيث يجتمع (البراح) مع جمال الطريق الساطع بالأضواء الذهبية ، مع سحر الصحراء ، مع نسمات البحر ورائحته الفوّاحة ..

كانت (وردة) فى الثانية والعشرين من عمرها .. فتاة بسيطة ، حباها الله بجمال فطرى غاية فى العذوبة .. وجه خمرى نضر ، يتوّجه شعر كستنائى ناعم ، مموج بتسريحة جميلة .. عينان كعينى الحور التى تجمع بين السواد اللامع والبياض الناصع ، تظللهما رموش سوداء طبيعية طويلة ، ومن تحتهما أنف دقيق كأنوف الباريسيات ، وشفتان كأنهما الكهرمان الطازج فى بستانه ، وهما دومًا فى حالة تبسم جميل .. ورغم بساطة الثياب التى كانت ترتديها بائعة الذرة الشابة ، إلا أن عذوبة جمالها لم تكن لتخفى على أية عين تصادفها .. ومن هنا بدت وهى تدندن بصوتها اللين الصافى ، وبجمالها العذب هذا ، وبروحها الأجمل التى تفوح بالبراءة والنقاء ، وكأنها بلبل يرفرف قلبه بنشوة خلوته التى يستعذبها ، متمنيًا فى نفسه ألا يقطعها عليه متطفل .

ولكن المتطفل جاء .. جاء كسقط من السماء .. قطع عليها خلوتها ، بندائه لها من داخل سيارته الفارهة :

ـ عندك ذرة ؟

رفعت عينيها الساطعتين بنشوتها البريئة نحوه تجيبه :

ـ عندى يا باشا .

ـ كليها !

ابتسمت من باب المجاملة ، فى حين صاحت فتاة من الشلة التى تملأ السيارة صخبًا ومزاحًا :

ـ هاتى كل ما عندك ، فلدينا هنا قطيع من الوحوش المسعورة .

ونهضت (وردة) بأكواز الذرة الساخنة ، متجهة إلى قائد السيارة الذى ناداها ..

كان شابًا وسيمًا ، لا يتجاوز الثامنة والعشرين من عمره ، تطفح الوقاحة من عينيه طفحًا ، مما جعل (وردة) تـوارى بشاشتها ، وهى تمد يديها له بالذرة قائلة :

ـ تفضل يا باشا .

تناول منها حمولتها ، فإذا بأيدى الشلة تتخطّفها ، وهم يتضـاحكون فى صخب ، بينما رفع قائد السيارة « كوزه » إلى فمه ليقضمه ، وهو يسأل (وردة) :

ـ كم تريدين ؟

ـ أربعة جنيهات .

ـ كثير .

ومع نطقه بالكلمة ، كانت صرخة (وردة) تنطلق فى ألم :

ـ آه .

ففى حركة مباغتة ، كان الوقح قد وضع « كوز » الـذرة الملتهب على يدها ، لتنطلق صرختها هذه رغمًا عنها ، وهى تسرع بالإمساك بموضع اللسعة فى ألم ، فـى حين التفت الوقح إلى شلته هاتفًا :

ـ هل سمعتم هذه الآهة ؟

وكان رد فتى آخر عليه :

ـ ولا آهة « مارلين مونرو » .

وصاحت فتاة لا تقل وقاحة :

ـ أعد يا (رامى) .. أعد .

فما كان من (رامى) إلا أنه التفت إلى (وردة) ، قائلاً بوقاحته الكريهة :

ـ أسمعتى ؟

وكان رد (وردة) عليه بحدة ، وهى تحدجه بنظرة غضب مستعرة :

ـ ثمن الذرة ؟

ـ ستأخذينه ، وستأخذين فوقه خمسين جنيهًا ، إذا ما أسمعتِنا آهتك (المشطشطة) هذه مرة أخرى .

وإذا به يفرد أمام عينيها ستين جنيهًا ، فما كان من الفتاة إلا أنها مدت يدها لتختطف عشرة جنيهات فقط ، فإذا بالوغد يسحب يده بسرعة ، قائلاً لها :

ـ لا .. الآهة أولاً .

وصمت مع رفاقه فى انتظار الآهة ، ولكنه ما لبث أن هتف قائلاً :

ـ بل انتظرى .. انتظرى .. ما رأيك فى رفع التسعيرة إلى مائة جنيه ، مقابل أن تقوليها لى وحدى فى أذنى ؟

وإذا بهتافات الشلة تنفجر :

ـ لا .. لا .. هذه أنانية منك يا (رامى) .. فليأخذ كل منا آهة فى أذنه ، وبنفس السعر .

وكان رد الفتى عليهم :

ـ حاضر .. حاضر .. اصمتوا حتى تبدأ .

ثم التفت إليها قائلاً ، وقد أخرج خمسين جنيهًا أخرى من محفظته :

ـ هيا يا محظيّتى الفاتنة .. أريد آهة أنام عليها حتى سهرة الغد .

وراح يقرب وجهه من الفتاة ، مغمضًا عينيه فى ثقة ونشوة ، وهو يهمس لها :

ـ هيا يا .....

ولم يتمها .. أخرسته وأخرست رفاقه جميعًا الصفعة الهائلة التى تلقاها على وجهه ، وجعلت أسـنانه وأذنـه وعينـه تصرخ ألمًا ، وكأنها قُذفت بزيت يغلى .

ومرت لحظة صمت مطبق ، أغمض خلالهـا الفتى عينيه كى يبتلع ألمه .. ولكنه حينما فتحهمـا ، كانتـا قد تحولتا إلى عينى شيطان تقذفان بحمم جهنم ، وهو يحدّق فيها بجنون ، بينمـا يده تفتح باب السيارة .. وهوى قلب الفتاة فى قدميها من الخوف .. وراحت تتقهقر إلى الخلف ، بينما هـو يتقـدم منهـا بنظراتـه المسعورة ، وإذا بـ (حسن) يقفز أمام أختـه ، فـاردًا ذراعيـه الصغيرتين عليها ، ليحميها منه ، صارخًا فيه :

ـ إياك أن تقربها !

وكـان رد الشيطان الغاضب ، أن حمل الطفل فـى قبضتـه ، وقذف به بعيدًا ، ليسقط على وجهه صارخًا من الألم .. ولتصرخ (وردة) فى الشيطان ، وهى ترتمى على شقيقها :

ـ يا بن المفترى ، يا حيوان .

وما كادت تتمها ، حتى كانت ركـلات المفترى وصفعاته تنهمر عليها فـى وحشية مجنونـة ، وهـى تصرخ تحتـه ، بينمـا الطفل يقذفـه من بعيد بأكواز الذرة ، وهو يسبه بـالدموع كـى يترك أخته .. وبالفعل تركها الثور الهائج ، ولكن بعد أن كان قد حولها إلى كوم من العظام والضلوع المحطمة .. ومضى نحـو سيارته وهو يلهث .. وفى طريقه لمح « نصبة » الذرة ، فلم يبخل عليها هى الأخرى بركلة من قدمه ، جعلتها نثارًا فوق الرمـال .. وليركب سيارته ويديرها ، منطلقًا بشلته المذهولة .

★ ★ ★

فوق فراشها المتواضع ، داخل حجرتها التى تستأجرها بإحدى دور البدو المقابلة لـ «سيدى كرير» ، استقر جسد (وردة) بأورامـه وكدماته ، وصرخـات الألم التى تنبعث مـن أنحـائه بغير توقف .. ولكن صراخ جسدها هذا ، لم يكن يمثل شيئًا بجانب صراخ كرامتهـا .. كرامتها التى نُحرت ببشاعة ، جعلتها تفكر فى الانتحار ألف مرة فـى اليوم ، ولم يكن يمنعها سوى منظر شقيقها الطفل ، وهـو يبكـى فـى حضنهـا ليل نهـار منذ مـا حـدث ، ممـا جعل الفتـاة تجـاهد كـى تتماسك أمامه .. ولكن كيف ؟ وكلما قفز أمام عينيها منظرها وهى

مطروحة على الأرض تتلقى الركلات والصفعات ، انفجرت روحها صارخة من جرح كرامتها !

أواه ..

أى إنسان منا يستطيع احتمال أن يُفعل به هذا دون ذنب جناه ؟!

فما بالنا بفتاة رقيقة يتيمة ، أبت إلا أن تصون شرفها ، بكسب لقمة العيش من طريق شريف ؟! وهى التى تملك من الجمال وثمار الأنوثة ، ما يكفيها لجعل مثل هذا الكلب يشرب الماء من حذائها لو شاءت ..

ولكنها (وردة) !

وردة التى فطمتها أمها قبل وفاتها على العفة ، وقدسية الشرف .. وغرس فيها أبوها قبل أن يلحق بأمها بذرة الكرامة ، وظل يرويها بنصحه المتواصل ، وبمواقفه أمامها فى الحياة ، حتى صارت شجرة منيعة ، يستحيل على رياح أن تكسرها أو تحنيها .. ومن هنا تركت الفتاة ثلاث وظائف بشهادتها المتوسطة ، لمجرد أنها كانت تلمح بوادر الخسة فى رب العمل ، أو رئيس لها .. لتعود إلى بيع الذرة المشوى ! نعم .. تعود إليه .. فقد فتحت عينيها على الدنيا ،

لتجد أباها بائعًا للذرة المشوى فى المصايف .. إنها وليدة حارة « شق الثعبان » بـ « باب الشعرية » فى القاهرة ، ولكنها قضت أكثر من نصف عمرها تجوب المصايف مع أبيها .. هو يبيع ذراه الساخنة للمصطافين ، وهى تلهو من حوله ، مستمتعة بطعم الذرة ، ورائحة البحر ، وعطف الزبائن .. فضلاً عن سخاء أبيها معها فى حبه ، وفى نقوده .. ومن هنا عاشت الوردة أحلى طفولة .. وحتى حينما شبت ، والتحقت بالمدرسة ، لم تحرمها دراستها من أيامها الحلوة هذه .. فقد كانت هذه الأيام تنتظرها فى الإجازات الصيفية .. ومن هنا نشأت بينها وبين بيع الذرة فى المصايف علاقة خاصة ، راحت تتطور مع مرور السنوات إلى حالة من الحب والتعلق ، حتى إذا ما مات أبوها ، وهى فى الثامنة عشرة من عمرها ، وجدت نفسها تواصل هذا العمل من بعده ، رغم حصولها على دبلوم التجارة ، ورغم فوزها بأكثر من وظيفة وكل ما غيّرته فى طريقة عمل أبيها ، هو استبدالها لتجواله الدائم بين المصايف ، باستقرارها فى هذا المكان القريب من « مارينا » ، دون تغييره على مدى أربع سنوات ، مما جعلها على موعد غير مقصود كل صيف ، مع عدد كبير من مصطافى الساحل الجميل .. وإذا بها تنتبه إلى أنها صارت لها

أسرة كبيرة ، من زبائنها الكرام المهذبين ، الذين يعاملونهـا بلطف ورقة ، زاداها عشقًا وتعلقًا بهذا العمل البسيط .. حتى قذفتها الأقدار بابن الحرام هـذا ؛ ليجعلها تلعن اليوم الذى عرفت فيه «كوز» الذرة ، والفحم ، والمروحة .. لعنة اللـه على أولاد الحرام !

تسعة أيام والوردة طريحة فراشـها ، خفت منها آلام جسدها بعض الشىء ، ولكن عذابها النفسى أبـى إلا أن يزداد ضراوة ، فلا الدموع تجف ، ولا ذكرى الليلـة السـوداء تهمـد .. حتـى توسلات (حسن) لها بأن تنسـى لأجلـه ، ذهبت أدراج الريـاح ، فلم يملك إلا أن يسكن فى حضنها ، يشاركها دموع العجز والجرح والمهانة .. حتى وجد الطفل نفسه ينتفض من حضنها ذات لحظة ، صارخًا فيها بكل براءته :

ـ ابن الـ..... هذا ، واللـه لأبحثن عنه فى كل القرى ، حتى أعثر عليه ، وأحرق له سيارته .

وإذا بالطفل ينفلت من بين يديها ، منطلقًا نحو الباب .. هنا فقط انتفضت (وردة) من فراشها لأول مرة منذ الليلة المشئومة ، لتسرع

محاولة الإمساك بشقيقها .. ولحقت به وهو يفتح باب الدار ، فإذا بالاثنين يتسمران فى مكانهما ، وقد ضربهما الذهول !!

(رامى) !!

ها هو أمامهما يقف بالباب ، شاحب الوجه ، حزين النظرات ، يتطلع إليهما فى خزى وانكسار ، وقرف طاغ من نفسه .. ولم تدر الفتاة ماذا تفعل ، وقد راح صدرها يعلو ويهبط فى عنف ، من نار الغضب ، التى اندلعت فيها بمجرد رؤيتها لوجهه .. أما (حسن) فقد التفت إلى أخته بنظرة دهشة لم تطل ، فسرعان ما عاد بعينيه مرة أخرى نحو الزائر ، وإذا به ينقض عليه ضربًا بيديه وقدميه .. وإذا بالزائر لا يحرك ساكنًا ، ولا يزود عن نفسه بأية حركة ، بل ظل جامدًا فى مكانه .. تاركًا عينيه فقط ، ترنوان إلى الفتاة فى خزى واستسلام ، وكأنه يدعوها هى الأخرى لمشاركة شقيقها فى الأخذ بحقهما منه ..

وكفت يدا الطفل عن الضرب لتألُم يديه ، فراح يتطلع إلى الزائر فى غضب وكراهية ، حتى دمعت عيناه .. فإذا بالزائر ينزل أمامه على ركبتيه ، ويأخذ بوجهه بين يديه مجففًا دموعه ، وهو يقول له بمنتهى الخجل :

ـ أنا آسف يا حبيبى .

وكان رد الطفل هو الانخراط فى البكاء بحرقة ، جعلت الشاب يختطفه فى حضنه ، ويضمه فى صدره بشدة ، وقد خانته دموعه هو الآخر .. وازداد نحيب الطفل ، بينما (رامى) يربّت على ظهره بكل حنو ، محاولاً تهدئته ، حتى إذا ما تذكر الواقفة إلى جوارهما ، فأسرع يرفع عينيه نحوها ، لتُفاجأ بدموعه ، فتسأله مذهولة ساخرةً :

ـ أنت ؟! تبكى ؟!

نهض واقفًا ، منكسًا رأسه :

ـ أنا آسف .

أجابته بسخريتها وبنارها :

ـ بهذه البساطة ؟

لم يرفع عينيه عن الأرض :

ـ هأنا أمامك .. افعلى بى ما شئت .

وكان ردها بسخريتها المريرة :

ـ حتى لو فعلت .. هل لديك الإحساس الذى يجعلك تتعذب بمثل ما عذبتنى ؟

رفع عينيه إلى وجهها بدموعه :

ـ إحساسى هو الذى جاء بى إلى هنـا .. لا يمكنك أن تتخيلى ما أنا فيه من ليلتها .. عيناى لم تذق للنوم طعمًا .. ولو كنت أعلم بمكانك هذا ، لأتيتك ليلتها ، فمن ليلتها وأنا أبحث عنك ، ولم أترك أحدًا فى المنطقة ، إلا وسألته عنك .. وهأنا أمامك فخذى حقك منى كيفما شئت .

وعاد ينكس رأسه أمامها فى استسلام ، فإذا برد الفتاة بالدموع :

ـ ليس كل ما يُكسر يُرمّ يا بن الأكابر .

رفع الفتى وجهه قائلاً بعذاب ضارٍ :

ـ حسرة الظالم أنكى من دمعة المظلوم يا (وردة) .

ـ أو تعترف بأنك ظالم ؟

ـ نعم أعترف .. وأعترف بأنى أستحق الحرق .. ليتك تحرقينى بيدك ، كى ترحمينى من نار احتقارى لنفسى .

وعاد يدفن نظراته فـى الأرض ، وإذا بـه يرفـع يده ، ليجفف دموعه التى تجرى على خديه فى « كُمّ » قميصه .

وأخذت (وردة) !

أُخذت بهذه الحركة المهينة التى لا يقبلهـا رجل على نفسه ، فإذا ببركـان الغضب المتفجر بداخلهـا يبدأ فـى الخمـود .. وإذا بصراخ جرح كرامتهـا يبـدأ فـى السكون .. وإذا بقلبهـا يـبرد كثيرًا .. كثيرًا .. حتى وجدت نفسـها ترمق الفتـى البـاكى بنظـرة عتـاب طويلـة .. وإذا بها تلتفت إلى (حسن) ، متبادلـة معـه نظـرة ، فهمها الطفـل على الفـور .. فـإذا به يأخذ بيد الشاب ، قائلاً له :

ـ تفضل !

وفـوجئ (رامـى) .. والتفـت إلـى الطفـل متسـائـلاً بنظـرة دهشـة ، ثم التفت إلى (وردة) بنفس النظرة ، فإذا بها تبتسم له قائلة :

ـ رجل البيت يدعوك إلى الدخول يا أستاذ (رامى) .

وفوجئ الشاب للمرة الثانية ، ولكن دهشـته لم تطل ، فإذا به يختطف (حسن) فى حضنه بكل سعادة وحنان .. بينمـا (وردة) تدعوه إلى الدخول بابتسامتها القمرية :

ـ تفضل .

ومضت تتقدمهما إلى حجرتها .

★ ★ ★

الفصل الثانى

جلس (رامى) بالكنبة البسيطة ، مُجلسًا (حسن) إلى جـواره .. بينما جلست (وردة) بمقعد مجاور ، مرحبة بضيفهما :

ـ أهلاً بك فى أيكنا المتواضع أنا و(أبو على) .

ابتسم (رامى) لوصفها الجميل للمكان ، فى حين صاح (حسن) :

ـ آه لو تعلم كم أعشق هذا المكان يا أستاذ (رامى) !

دُهش (رامى) :

ـ لماذا يا (أبو على) ؟

وكان رد (أبو على) ، وهو ينظر إلى (وردة) :

ـ لأن به وردة لا تذبل أبدًا .

فوجئت (وردة) .. فهتفت بدهشة :

ـ (حسن) !

أجابها (حسن) متحديًا :

ـ ماذا يا وردتى ؟ هل أخطأت فى شىء ؟

وإذا بـ (رامى) هو الذى يجيبه باسمًا ، وعيناه تتصفحان وجه (وردة) :

ـ لا يا (أبو على) .. لم تخطئ .

ولم تملك الفتاة إلا أن تهرب بوجهها من عينى الشاب قائلة :

ـ هكذا من بدايتها ؟ اتفقتما علىّ ؟

وإذا بـ (حسن) يجيبها قائلاً ، وهو يمسك بيد (رامى) :

ـ نعم اتفقنا ، بل وصرنا صديقين ، ومن الآن فصاعدًا خذى حذرك منّا .

وانفجر الصديقان ضحكًا ، وكأنهما صديقان حميمان من سنين طويلة بينما (وردة) تتأملهما بدهشة طاغية .. وإذا بشىء ما يستوقفها فى ضيفهما الشاب .. تلك الطيبة والبراءة الساطعتين فى وجهه .. وإذا بمنظر نفس الوجه فى الليلة المشئومة يقفز أمام عينيها ، فيرتج قلبها ، وتتساءل فى نفسها مندهشة : « سبحان الله ! كيف يستطيع الغضب تشويه الإنسان إلى هذا الحد ؟! »

كان (رامى) وسيمًا ، خمرى اللون ، ذا جبهة عريضة ذكية ، وشعر قصير مجعد ، يضفى عليه وسامة خاصة .. وكان أميَز ما فيه عيناه العسليتان الجريئتان ، اللتان تعكسان قوة شخصيته وثقته فى

نفسه .. وكان (بنطلونه) الجينز و(تيشيرته) المجسمان عليه يبرزان رشاقة قوامه الرياضى ، خاصة صدره العريض البارز .. وفى جملته كان من هذا النوع من الشباب الملفت لأنظار الفتيات أينما صادفهن .

وانتبهت (وردة) إلى شرودها ، الذى فصلها عن شقيقها وضيفهما ، فأسرعت تهتف فى الضيف :

ـ أستاذ (رامى) ! أنا آسفة .. نسيت أن أقدم لك شيئًا تشربه .

وإذا بـ (حسن) يهتف بسرعة :

ـ لا .

فوجئ (رامى) ، بينما التفتت إليه (وردة) مندهشة ، فإذا به يقول لـ (رامى) ، وهو ينظر إلى (وردة) :

ـ هذه الوردة قتلتنى جوعًا يا أستاذ (رامى) .

التفت (رامى) إلى (وردة) ، متسائلاً فى دهشة :

ـ لمـاذا ؟!

وجاء الرد من (حسن) :

ـ إضراب .. إضراب من حضرتها عن الطعام .

وفهم (رامى) على الفور أنه السبب ، فلم يملك إلا أن يرنو إلى الفتاة بنظرة خزى تفيض بالاعتذار ، ثم يقول بلهجة أكثر خجلاً واعتذارًا :

ـ انتهى يا (أبو على) .. هذا الإضراب انتهى .

وخفق قلب الوردة لنظرته ونبرته ..

ووجدت نفسها تطرق إلى الأرض خجلاً ، فإذا بالشاب يسألها فى حياء :

ـ هل تقبلان منى دعوة إلى العشاء ؟

فوجئت الفتاة .. وأسرعت تنظر إلى شقيقها ، فإذا به يسارع برفع كفيه الصغيرتين ، قائلاً لها بخفة ظل :

ـ لا تنظرى لى .. فلا شأن لى بهذا .

أسرع (رامى) يسأله باسمًا :

ـ لماذا يا (أبو على) ؟ ألست رجل البيت ؟

وكان رد (أبو على) بسرعة :

ـ إلا فى هذه الأمور يا أستاذ ..

وللمرة الثانية ضحك (رامى) من قلبـه ، ثم إذا به يلتفت إلى (وردة) قائلاً بنبرة يملؤها الرجاء :

ـ فليكن (عيش وملح) يا (وردة) .

فوجئت (وردة) .. فوجئت بالرجاء الذى يصعب رده من أية بنت بلد .. وجدت نفسها تنظر فى وجهه ، فإذا ببراءته ، ورجائه الصارخ فى عينيه ، يسلبانها جوابها رغمًا عنها ، وإذا بها تجيبه باسمة :

ـ إذن فلتكثر من العيش ، فأنا جائعة .

انبثقت الفرحة فى وجه الفتى .. هب واقفًا ، ممسكًا بيد (حسن) :

ـ إذن هيا بنا .

دُهشت (وردة) :

ـ ما هذا يا أستاذ ؟ هل سنخرج معك هكذا ؟

ونظرت إلى ثيابها ، فارتبك حائرًا .. أسرعت تنقذه قائلة بابتسامتها الحلوة :

ـ حضرتك تنتظرنا فى السيارة ، ونحن سنلحق بك .

أجابها بفرحته :

ـ أمـرك .

واستدار إلى (حسن) ، يقرصه فى خده قائلاً :

ـ لا تتأخر علىّ يا صديقى .

ومضى مغادرًا الغرفة ، بينما (وردة) تشيعه بنظرة باسمة .. وجلس الفتى فى سيارته أمام الدار ، يحيطه خلاء ساحر ، يضيئه القمر المكتمل فوق الدار ، وآثار أضواء الطريق الذهبية الساطعة بعيدًا .. مد يده مديرًا الكاسيت على صوت (هانى شاكر) ، شاديًا : « اسمك أحلى الأسامى ، أنا سميتك حبيبتى » .. وألقى برأسه إلى الوراء على ظهر مقعده ، وراح مع الأغنية ..

كم من الوقت مضى ؟ لا يدرى .. حتى انتبه على صوت (وردة) و(حسن) خارجين من الدار .. اعتدل فى مقعده ، ملتفتا نحوهما ، فإذا بالدهشة تضرب كل ما فيه ، وتجعل عينيه تتسمران على (وردة) غير مصدق لما يراه .. فتنة ! فتنة خالصة مقبلة على قدمين .. الوجه وجه مانيكان ، كل ما فيه مرسوم بفتنة .. الشعر مرسل على الظهر ، كشعر مهرة مفتونة بحسنها .. القوام داخل البنطلون الجينز الضيق والبلوزة المجسمة ، عود ورد طارح أشهى ثمار الأنوثة .. حتى البارفان المثير أقبل يسبق صاحبته فى شقاوة لا تقاوم .

هكذا أقبلت (وردة) ممسكة بيد (حسن) مغتسلاً أنيقًا .. وامتدت يد الفتى تفتح باب السيارة ، دون أن تتزحزح عيناه عن عود الورد المقبل .. نزل يستقبله بدهشته التى عجز عن كبحها ،

بينما الفتاة تبتسم ، مدركة مبعث دهشته .. وجد نفسه يسألها بخفوت يشبه الهمس :

ـ أيمكنني قول شيء ؟

وكان ردها بابتسامتها الفاتنة :

ـ عيناك قالته .

وأسرعت تركب السيارة هربًا من نظراته ، وأسرع هو يرتد إلى مقعده بجوارها ، دون أن يرفع عينيه عنها .. بينما هي تهتف في شقيقها :

ـ اركب يا (أبو على) !

وركب (حسن) في الخلف ، والتفتت هي إلى الفتى المطبق عليها بنظراته ، قائلة :

ـ هيا يا أستاذ .

ولم يملك الفتى إلا الطاعة .. أدار محرك السيارة ، متحركًا بها في بطء ، وكأن السيارة هي الأخرى تشاركه دهشته ..

ولكنها ما إن استوت على الطريق ، حتى انطلقت تسابق الريح ، مما جعل (حسن) يهتف قائلاً لـ (رامى) :

ـ سيارتك مجنونة مثل السيارات التى كنا نشاهدها على الطريق ليلاً .

وكان رد (رامى) في حنو :

ـ هانت تركبها يا (أبو على) ، لا تشاهدها ، ومن الآن فصاعدًا هي سيارتك .

وإذا بـ (حسن) ينظر إلى (وردة) هاتفًا :

ـ وهل أنا ناقص مجنونات ؟! كفاني مجنونة واحدة .

انفجر (رامى) ضاحكًا ، بينما هتفت (وردة) في شقيقها محذرة :

ـ (حسن) !

وكان رد الطفل الداهية ، محدثًا نفسه :

ـ الحقيقة مرة .

فما كان من (وردة) إلا أنها أجابته متوعدة :

ـ على رسلك يا صاحبي .. لنا بيت سيجمعنا أنا وأنت دون ثالث .

انتبه (رامى) إلى التهديد .. أسرع ينظر إلى (حسن) عبر المرآة التى أمامه ، قائلاً له :

ـ صرت فى خطر يا صديقى .

وكان رد (حسن) بسرعة :

ـ أنا الليلة معك يا صديقى .

هنا انتبهت (وردة) إلى أنها لا تعرف وجهتهم ، فالتفتت إلى (رامى) تسأله :

ـ الباشا يأخذنا إلى أين ؟

ـ « مارينا » .

فوجئت (وردة) :

ـ « مارينا » ؟!

سألها (رامى) :

ـ إذا كانت لا تعجبك ، اختارى ...

قاطعته مندهشة :

ـ « مارينا » لا تعجبنى أنا ؟!

وأردفت متهكمة :

ـ أم هى التى ستردنى من بابها ؟

فوجئ الفتى .. حلّق على وجهها بنظرة باسمة ، ثم أجابها :

ـ سنرى .

ومد يده مديرًا الكاسيت على نفس أغنية (هانى شاكر) : « اسمك أحلى الأسامى » .. فلم تملك الفتاة إلا الالتفات إليه ، ترد تحيته بنظرة حلوة من عينيها الفاتنتين .

وبلغوا القرية السياحية الشهيرة .. وإذا بموظفى الأمن يسارعون باستقبال (رامى) وضيفيه باحترام شديد .. واتجه الفتى بسيارته إلى مكانها المخصص لها داعيًا ضيفيه إلى النزول ..

وفعلت (وردة) ..

نزلت بانبهار طفل وجد نفسه فى جنة لم تخطر بأحلامه .. مضت تخطو فى القرية كالمسحورة ، يملؤها خليط من الدهشة والرهبة والافتتان .. وراحت تحلّق بنظراتها المشدوهة هنا وهناك ، حتى وقعت على البحر ، فراحت تتقدم منه ، مطلقة نظراتها المفتونة فوق صفحته الرحيبة المشربة بنور القمر ، ثم إذا بها تعود بنظراتها إلى شاليهات القرية البيضاء وممراتها العريضة المرصوفة ، وحدائقها المرسومة بإبداع ، وأضوائها القمرية الشاهية .. ومضت تعانقهم جميعًا بنظراتها فى نهم جنونى .. ووجدت نفسها تتمتم بانبهارها ، وكأنها فى حلم جميل :

ـ « مارينا » !

وإذا بـ (رامى) يهمس لها من الخلف :

ـ هى « مارينا » .. وأنت (وردة) .

استدارت نحوه بنظراتها المشدوهة ، ثم قالت فى خفوت حالم :

ـ كنت أقرأ عنها فى الصحف والمجـلات ، ولم أجروْ يومًا على الحلم بها .. مجرد الحلم !

ـ ها هى حقيقة ترحب بك يا (وردة) .

تعالى ..

وإذا به يمسك بيدها ، متقدمًا بها من أحد موائد البلاج ، وكأنهـا ملكة فى صحبة أميرها ، بينما (حسن) خلفهما يقاوم جوعـه الـذى بدأ ينهشه .. وإذا بأحد مضيفى القرية يسبقهم إلـى المـائدة ، ساحبًا مقعدًا للفتاة الفاتنة ، فجلست .. بينما سحب (رامى) مقعدًا آخـر لـ (حسن) ، قائلاً له :

ـ تفضل يا صديقى .

وجلس (حسن) ، قائلاً بخفة ظله المدهشة :

ـ شكرًا يا صديقى .

وجلس (رامى) ، ثم رفع وجهه قائلاً للمضيف فى تبسم :

ـ (هشام) .. املأ هذه المائدة بأحلى عشاء عندك .

ـ أمرك يا باشا .

وانصرف المضيف ، بينما التفت (رامى) إلى ضيفيه قائلاً :

ـ نورتما « مارينا » .

وأجابته (وردة) باسمة :

ـ شكرًا يا باشا .

ابتسم (رامى) مندهشًا :

ـ باشـا ؟!

وكان رد الفتاة مداعبة :

ـ موظفو الأمـن دعوك بهـا ، والمضيف دعاك بهـا ، فبمـاذا أدعوك أنا إذن ؟

وكان رد الفتى بابتسامته البريئة :

ـ يا صديقتى ! أنا لا باشا ولا بك .. أنا طفل كبير لا أكثر .

فوجئت الفتاة بوصفه لنفسه .. هى أيضًا ترى نفسها دائمًا طفلـة كبيرة .. خفق قلبها لهذا التشابه الجميل العزيز الذى يجمعهمـا .. وجدت نفسها تقول له :

ـ حتى الآن لا أعرف عنك سوى اسمك .

وكان رده بشقاوته الحلوة :

ـ وهل تطمعين فى أكثر من ذلك ؟

حلّقت بنظراتها الفاتنة على وجهه :

ـ أجبنى يا فتى ! من أنت ؟

أرسل الفتى بنظرة باسمة إلى البحر المشرب بنور القمر ، ثم عاد ينظر إليها مجيبًا :

ـ اسمى (رامى صلاح الكوادرى) .. المهنة ......

أسرعت تقاطعه :

ـ مهلاً يا فتى .. يخيّل إلىّ أننى سمعت بهذا الاسم من قبل .

ـ تعنين اسم والدى (صلاح الكوادرى) .. إنه عضو بمجلس الشعب ، وواحد من أكبر عشرة رجال أعمال فى « مصر » .

هتفت متذكرة :

ـ (صلاح الكوادرى) !

ـ أتعرفينـه ؟

ـ أعرفه ؟! إننى أحتفظ منه بتذكار جميل .

فوجئ الفتى :

ـ تذكار ؟!

ـ نعم .. فمنذ أربع سنوات تقريبًا ، طرق منزلنا فى « باب الشعرية » جماعة من الشباب ، وأهدونا بطانية فاخرة فى غاية الجمال ، كدعاية انتخابية للسيد والدك .. ومـن سعادتى بها حفظتها فى جهازى .

ـ إذن فقد وصلتك أول دفعة من مهرك .

هكذا جاء تعليق الفتـى بسرعة بديهة ، خطفت قلب الفتاة ، ولكنها أسرعت (تدارى) خفقاته بقولها :

ـ أكمل بطاقة تعارفك يا باشا .

ـ السن : 27 عامًا .. المهنة : مهندس حاسب آلى .. الحالـة الاجتماعية : (أعزب) وأبحث عن عروس .

ـ ابحث بعيدًا عنى .

قذفته بها بسرعة أضحكته وأدهشته ..

وجاء دورها ، فقالت :

ـ (وردة خليل الشعراوى) ، من « باب الشعرية » ، 22 عامًا ، دبلوم تجارة والمهنة بائعة ذرة أبًا عن جد .

ـ ولماذا لم تتوظفى بالدبلوم ؟!

ـ حتى لا يتحكم فىَّ أحد .

أدهشه مبررها ، وما يعكسه من كبرياء عجيب .. وجد نفسه يتأملها بإعجاب ، فإذا بها تداعبه :

ـ ماذا يا فتى ؟ هل سنقضيها نظرات ؟

أجابها مبتسمًا :

ـ وماذا أفعل أمام هذا الكوكتيل ؟ جمال وذكاء وخفة دم .

وأردف مفتونًا :

ـ أنت جميلة حقًا يا (وردة) .

ـ أجمل من التى كانت تجلس إلى جوارك فى السيارة ؟

فوجئ بالسؤال ومغزاه .. أسرع يجيبها :

ـ أجمل من كل البنات التى عرفتها .

ـ إذن فأنا أجمل من نصف بنات « مصر » .

انفلتت منه ضحكته .. وهتف متسائلاً بدهشة :

ـ نصف بنات « مصر » ؟! لماذا ؟ هل تحسبيننى (تامر حسنى) ؟

وكان ردها بنظرة شقاوة ساخنة :

ـ أنت (رامى) !

وكان رده مفتونًا بها :

ـ وأنت (وردة) .

وأردف مفسرًا افتتانه بها :

ـ مجموعة مفاجآت فى مفاجأة كبيرة .

وأقبل الجرسونات بالعشاء .. وانتظرهم (رامى) حتى فرغوا من رصه وانصرفوا ، ثم التفت إلى الفتاة وشقيقها ، قائلاً فى حنان جميل :

ـ هذا الطعام أكلناه أم لم نأكله سيُدفع ثمنه ، إذن فلنأكله .

وإذا برد (حسن) :

ـ اطمئن يا صديقى ، فمسح الأطباق هو أجمل هواياتى .

انفجر (رامى) ضاحكًا ، ثم ما لبثت أيدى الثلاثة أن امتدت إلى الطعام ، وقد ربطت قلوبهم سعادة طاغية .. بينما الفتاة الفاتنة تتساءل فى نفسها :

ـ ما هذا الذى يحدث يا (وردة) ؟

★ ★ ★

الفصل الثالث

فتحت (وردة) عينيها على إحساس جميل ، لم تذقه منذ رحيل أبويها الحبيبين .. إحساس قلب بكر مرتوٍ بالسعادة .. إحساس جعل نظراتها الساهمة تنساب من عينيها الفاتنتين فى شرود هانئ ، حتى انتبهت على ذراعى (حسن) النائم إلى جوارها تحتضناها من الخلف ، استدارت نحوه بوجهها المشرق بسعادتها ، وراحت تمسح على رأسه بيدها فى حنو ، منادية عليه فى خفوت :

ـ (أبو على) ! حبيبى .

تململ فى حضنها دون جواب ، فعادت تناديه :

ـ يا (أبو على) العصر أذّن .. ألم تشبع نومًا ؟

أجابها دون أن يفتح عينيه :

ـ اتركينى نصف ساعة فقط يا (وردة) .

ـ ولا نصف دقيقة ، لأنك وحشتنى .

وضمته فى حضنها ، مقبّلة خده :

ـ هيا يا بيبى !

وفتح الطفل عينيه ، فإذا بهما تحلقان على وجه شقيقته ، قائلاً :

ـ الله ! وجهك جميل جداً يا (وردة) .

ابتسمت (وردة) ، وهى تجوس بأصابعها فى شعره :

ـ ما هذا يا (أبو على) ؟ أتغازلنى ؟

وأجابها الطفل صادقًا :

ـ لا يا « وردتى » .. وجهك فعلاً بـه شـىء غريب ، لم أره فيه من قبل .

حلقت الفتاة على وجهه بنظراتها الفاتنة الباسمة ، مفكرة فى ملاحظته ، ولكنها ما لبثت أن راحت تزيح غطاءها عنها ، ناهضـة ، وهى تقول :

ـ هيا يا (أبو على) .. زبائننا وحشونى .

فوجئ (حسن) .. هتف متبرمًا :

ـ ما هذا ؟ هل سنفرش اليوم ؟

وكان ردها بدهشة باسمة :

ـ ماذا يا رجل البيت ؟ هل استمرأت البطالة ؟ انهض !

وأزاحت الغطاء عنه ، فنهض متثائبًا .. بينما اتجهت هى إلى المرآة المعلقة بالحائط ، ومـا إن أطلت فيها ، حتــى ابتسمت هامسة فى نفسها :

ـ عندك حق يا (أبو على) .

واستدارت ساحبة منشفتها ، وماضية بها إلى الحمام .. ومنه إلى باب الدار ، حيث التقطت حقيبة بلاستيك معلقة به مـن الخـارج ، وارتدت بها إلى الحجرة ، وراحت ترص محتوياتها على المائدة الصغيرة المقابلة للفراش : عيش ، وفول وفلافل وباذنجان مخلـل .. وجلست أمـامهم منادية شقيقها .. وجلس (حسن) .. وإذا بـه يتجول بعينيه على الأطباق قائلاً :

ـ هذا حال الدنيا .. يوم « مارينا » ويوم علينا .

وكان رد (وردة) ضاحكة :

ـ ها يا (أبو على) .. أنفى يشم رائحة بطر .

وإذا برد الطفل الداهية ، وهو يلتقط قرص فلافل ..

ـ سلامة أنفك يا « وردتى » .. إنها رائحة الفلافل .

وغرس القرص كاملاً فى فمه ، بينما (وردة) تمسك نفسها عن الضحك بالكاد .

★ ★ ★

صاحت السيدة الوقور من داخل سيارتها الفارهة :

ـ (وردة) !

وإذا بـ (وردة) تهب واقفة ، مسرعة إليها فى سعادة :

ـ أهلاً (كوثر) هانم .. وحشتينى .

والتفتت إلى أطفال السيدة الثلاثة ، قائلة بسعادتها :

ـ وحشتونى يا حبايبى .

وكان رد السيدة الطيبة :

ـ أنت وحشتِنا أكثر يا (وردة) .. أين كنت الأيام الماضية ؟

ـ كنت فى معركة مع نزلة برد صيفى .

ـ ألف سلامة .

ـ الله يسلمك يا هانم .

وإذا بالسيدة ترفع مجموعة كتب أنيقة كانت بجوارها ، لتناولها لـ (وردة) قائلة :

ـ ها هى الروايات التى طلبتها منى .

وكان رد (وردة) فى فرحة طاغية ، وهى تنظر فى عناوين الروايات :

ـ شكرًا يا (كوثر) هانم .. ألف شكر .

ـ عندما تفرغين من قراءتها اتصلى بى ؛ لأحضر لك غيرها .

ـ شكرًا يا هانم .

ـ والآن هاتى كل ما لديك من ذرة !

دُهشت (وردة) :

ـ لماذا يا هانم ؟ هل حضرتك ستقيمين حفل ذرة ؟

ـ بالضبط .. دعيت كل صديقاتى بأطفالهن إلى حفل ذرة مشوى .

ضحكت (وردة) :

ـ بالهناء والشفاء .

ـ هاتى كل ما لديكِ .

ـ أمرك يا هانم .

واستدارت (وردة) منادية بفرحتها :

ـ (حسن) !

وأسرعت مع شقيقها يضعان الذرة فى حقيبة السيارة ، حتى إذا ما فرغا ناولت الهانم (وردة) ورقة بمائة جنيه ، فابتسمت (وردة) فى حرج :

ـ ليس معى فكة يا هانم .

ـ إنها لك يا (وردة) ، أنت و (أبو على) .

فوجئت (وردة) :

ـ هذا كثير يا هانم .

وكان رد الهانم أن لوحت لها بيدها مودعة ، ومضت بسيارتها ، بينما (وردة) تشيعها بنظرة دهشة ، ولكنها ما لبثت أن التفتت إلى (حسن) ، فإذا به يقول لها :

ـ وجهى حلو عليك .

فلم تملك (وردة) إلا أن تقبّله باسمة :

ـ كلك على بعضك حلو يا (أبو على) .

ـ هل سنعود إلى البيت ؟

وكان ردها وهى تلوح له بالمائة جنيه :

ـ بالطبع ، سنعود لنرتدى (أشيك) ما لدينا من ثياب ؛ لأن حضرتك ستدعونى إلى سهرة جميلة .

وكان رد (حسن) ، وهو ينحنى لها :

ـ أمرك يا « هانم » !

وانطلق الاثنان يلملمان فرشتهما .

★ ★ ★

وارتدى الشقيقان أجمل ما لديهما ، وانطلقا يسبقهما ضحكهما ، حتى إذا ما فتحا باب الدار ، تسمرا فى مكانهما من المفاجأة التى كانت فى انتظارهما ..

رامى !

ها هو يقف ، وقد تعلقت يده فى الهواء ، فقد كان يهمّ بطرق الباب ..

التفت الشقيقان إلى بعضهما متبادلين نظرة دهشة .. ثم عادت (وردة) تتطلع إلى الفتى بدهشتها ، قائلة :

ـ أهلاً أستاذ (رامى) .. تفضل .

وكان رد الفتى باسمًا ، وهو يشير إلى سيارته :

ـ بل تفضلا أنتما .

دُهشت (وردة) :

ـ إلى أين ؟

ـ إلى حيث شئتما .

لم تدر (وردة) بماذا تجيبه ، فتطوع (حسن) بالإجابة :

ـ لقد دعيت هذه الوردة إلى نزهة .

فكان رد (رامى) بسرعة ، وهو يشاكس (وردة) بنظراته الجريئة :

ـ جميل ، إذن فأنتما فى حاجة إلى تاكسى !

أجابه (حسن) :

ـ بالطبع .

فأسرع الفتى يشير إلى سيارته :

ـ وأنا تحت أمركما .

التفت (حسن) إلى (وردة) ، مستطلعًا رأيها ، فإذا بـ (رامى) أسرع منها ردًا ، فقد أسرع برفع (حسن) فى حضنه ، قائلاً :

ـ هل سنقضيها نظرات ؟ هيًا .

وأسرع بالطفل إلى السيارة ، ووضعه بمقعدها الخلفى .. ثم أسرع يفتح الباب الأمامى لـ (وردة) ، قائلاً فى انحناء :

ـ تفضلى يا هانم .

ولم تملك الفتاة إلا أن تتحرك من مكانها ، راكبـة السيارة ، بينمـا عيناها على الفتى وهو يسرع إلى مقعده بجوارها ، حتى إذا ما جلس به ، بادرها متسائلاً :

ـ إلى أين يا هانم ؟

وإذا بالفتاة تتطلع إليه بعينيها الفاتنتين الباسمتين ، قائلة :

ـ إذن فأنت الذى اشتريت الذرة .

وكان رد الفتى ، وهو يتحرك بالسيارة :

ـ رزق صديقات مدام (كوثر) المسعورات .

وعاد يكرر سؤاله وهو يقترب من الطريق :

ـ إلى أين يا هانم أنت و(البك) ؟

نظرت (وردة) و(حسن) إلى بعضهما فى حيرة فطن إليها (رامى) ، فأسرع يقول :

ـ إذن دعونى أقم بدور المرشد أيضًا .

هتف (حسن) :

ـ دون زيادة فى البنديرة .

وأجابه (رامى) موافقًا :

ـ دون زيادة فى البنديرة يا باشا .

وإذا بـه ينطلق بهمـا إلـى الإسكندرية .. وإذا بهمـا فـى فنـدق « شيراتون المنتزه » ، ومرشدهما يقودهمـا إلـى إحـدى صـالات الديسكو بـه .. وفوجئت (وردة) .. ووجدت نفسـها تغمغـم فـى دهشة وهى تقف بمدخل الصالة :

ـ ديسكو ؟!

أسرع (رامى) يسألها متوجسًا :

ـ إذا كان يضايقك نـ .....

وإذا بها تقاطعه :

ـ بل أتوق إليه منذ أن كنت فى الدبلوم .

أشار لها باسمًا :

ـ إذن تفضلى .

ومضى بهما قاصدًا إحدى الموائـد .. وإذا بشلته كلها تناديـه متهللة .. وإذا بهم يقبلون عليه وقد فوجئ بهم .. وما إن وقعت أبصارهم على (وردة) ، حتى انطلقت منهم صفارات الإعجاب وعبارات الغزل .. وإذا بأحدهم يدقق النظر فيها بوقاحة مخاطبًا (رامى) :

ـ هذا الصاروخ ليس غريبًا علىّ يا برنس .

فوجئ (رامى) .. التفت إلى (وردة) مرتبكـًا .. وإذا بـالوقح يهتف متذكرًا :

ـ آه .. صاحبة الآهة النارية !

قنبلة قاتلة اخترقت رأس (وردة) و(رامى) معًا .. التفتت الفتاة إلى (رامى) مصعوقة ، فإذا به يحدق فيها مصعوقًا أكثر منها ، وهو يحاول أن يقول شيئًا ، ولكن قبل أن يفتح فمه ، كانت الفتاة قد خطفت شقيقها من يده ، وانطلقت كالسهم .. بينما استدار (رامى) إلى صاحبه محدقًا فيه بغيظ رهيب ، لم يفهمه الغبى ، فإذا به يتساءل عما فعل .. وكان رد (رامى) عليه لكمة هائلة فى وجهه ، أطاحت به فوق الموائد .

وانطلق (رامى) جريًا ليلحق بـ (وردة) و(حسن) .. وإذا به لايجدهما .. لا فى الفندق ، ولا أمامه .. وقف على الطريق ، يتلفت بحثًا عنهما ، ولكن لا أثر لهما .. أسرع يقفز فى سيارته ، منطلقًا بها على الطريق ، وعيناه تنبشان الكورنيش نبشًا دون جدوى .

ـ أتكون قد عادت إلى الدار ؟

هكذا تساءل فى نفسه .. انطلق صوب الدار .. وبباب حجرة الشقيقين وقف متسمرًا فى مكانه !!

ها هى الوردة مكومة فى فراشها ، منخرطة فى بكاء مرير .. بينما (حسن) يحتضن رأسها ودموعه تجرى على خديه فى صمت وذهول ، حتى انتبه إلى (رامى) ، فراح يرفع عينيه الدامعتين نحوه يحدجه بنظرة حصدت روحه ، وكادت تجعله يركع على ركبتيه فى مكانه .. ولكنه تماسك بقدر استطاعته ، وراح يجر قدميه متقدمًا منهما ، تسبقه نظراته المصعوقة ، حتى وقف أمام الفراش لايدرى بيده ، وهى تمتد مرتجفة إلى رأس (وردة) ، وما إن لامستها حتى رفعت الفتاة وجهها ، فإذا به

مغمورًا بـالدموع ، محتقنًا بذبحـة الموت ، وإذا بهـا تتطلـع إليـه بذبحتها ، بينما الفتى يحـدّق فيهـا ، مذبوحًا أكثر منهـا ، عـاجزًا عن النطق .. وكأن روحه هو الآخر تُزهق فى هذه اللحظة ..

ولكنه فى النهاية نطق !

نطق بكلمتين اثنتين !

سألها :

ـ تتزوجينى يا (وردة) ؟

وإذا به يمد يده لها بكارته الشخصى ، قائلاً :

ـ هذه تليفوناتى ، وأنا فى انتظار ردك .

ووضع الكارت بجوارها على الفراش ..

وإذا بـه يطبـع أنبل قبلتيـن إنسـانيتين علـى رأسـها ورأس الطفل ...

ويستدير منصرفًا .

★ ★ ★

الفصل الرابع

ثلاثة عشر يومًا و(رامى) لا يبرح شاليهه فى « مارينا » إلا إلى الشاطئ ليلاً ، حيث يجلس بمفرده ، عيناه على البحر فى جمـود الأموات ، وأذناه وقلبه مع موبايلـه .. اُخْتُزلت حياتـه كلهـا فى المكالمة التى ستحمل له رد حبيبته !

نعم حبيبته !

لا يعرف كيف ولا متى حدث هذا !

ولكنه حدث !

نعم حدث !

فها هو يحبها فى جنون يثير ذهوله !

هـا هـو قلبـه يصـرخ عليهـا .. يريدها .. يكتوى بانتظـار ردهـا !

قلبه الذى طالما طاردته كل ألوان بنات حواء ، فـأبى أن يفتـح بابه لواحدة منهن .. ولكنه ما إن جمعته الأقدار بهذه الفتاة الأقل

من بسيطة ، حتى قفز إليها يحتضنها .. يهبها مفتاحه .. يدعوها لأن تتبوأ عرشها الملكى الذى طال انتظاره لها !

(وردة) !

بائعة الذرة ..

ساكنة الطريق ..

ربيبة الحوارى ..

ماذا بها يا قلب حتى تهبها عرشك المنيع بهذا الجنون ؟!

وأجاب القلب بحكمة الملوك :

ـ عفة النفس .

بها عفة النفس .

ذلك الكنز الإلهى الذى فرّطت فيه قريناتها ، وصانته هى ، فصارت ملكة .. وصارت صاحبة الحق الخالص فى هذا العرش .

هكذا أجابه القلب .

وهكذا أدرك الفتى كيف صارت الوردة حبيبته بهذه الجدارة !

ولكن ، لماذا لم تتصل ؟

هل هذا هو ردها على طلبه ليدها ؟

هل عدم اتصالها هو رسالة له بالرفض ؟

معقول رفضته ؟!

كيف ؟

وحتى إذا كان هذا هو قرارها ، فلماذا لا تتصل لتبلغه به ؟

ما الذى يمنعها ؟ غضبها مما حدث بالفندق ؟

وما ذنبه فيه ؟

إنها أذكى من ذلك .

فلماذا لم تتصل إذن ؟

أهى عزة نفسها ؟

هنا توقف سيل التساؤلات فجأة عن التدفق ، وانتبه الفتى من حيرته ، هاتفًا بمنتهى الانفعال :

ـ يااه ! يا ليَ من غبى ! كيف فاتتنى هذه ؟

كيف انتظرت منها أن تسعى هى إلىّ ، وهى المذبوحة من جانبى ؟

هذا هو السبب إذن فى عدم اتصالها .

ولها الحق .

كل الحق .

ووجد نفسه ينتفض واقفًا ، ناقمًا على نفسه ، هاتفًا فى سخط :

ـ غبى ! غبى !

وفى طرفة عين كان يقفز داخل سيارته ، وينطلق بها ناهبًا الطريق نهبًا .. ولم يتوقف إلا أمام الدار ، ليقفز من السيارة منطلقًا إلى الحجرة ، وإذا به يتسمر فى مكانه !

ما هذا ؟!

باب الحجرة موصد بقفل !

خفق قلبه بعنف ، وهو يحدق فى القفل .. وإذا بامرأة شابة تخرج من حجرة أخرى ، أسرع يسألها فى لهفة :

ـ (وردة) ؟ أين (وردة) ؟

ـ رحلت .

تقدم من المرأة مذهولاً :

ـ رحلت ؟!

ـ نعم .

ـ إلى أين ؟

ـ عادت إلى القاهرة .

ـ متى ؟!

ـ منذ عشرة أيام أو أكثر .

صاعقة نزلت برأس الفتى ، جعلته يتسمر فى مكانه ، محدقًا فى المرأة ، لا يقدر على فعل أو قول .. ولم تملك المرأة إلا أن تسأله فى حرج :

ـ (أيتها) خدمة يا باشا ؟

ولكن الفتى بدا وكأنه لم يسمعها ..

استدار بصدمتـه وذهولـه ، يهم بـالانصراف .. ولكنـه فجـأة التفت إلى المرأة مرة أخرى ، يسألها فى انفعال :

ـ ألم تترك عنوانًا لها ؟

وإذا بالمرأة تتطلع إليه مترددة ، فأسرع يهتف فيها بانفعاله :

ـ أرجوكِ .. أرجوكِ .

فما كان من المرأة إلا أنهـا دخلت إلـى غرفتهـا ، لتعود منهـا بكراس قديم .. فتحته على إحدى الصفحات ، قائلة له :

ـ ها هو العنوان .

★ ★ ★

فجأة قفز (حسن) من الشرفة ، منطلقًا إلى بـاب الشقة ، مارقًا منه إلى سلم المنزل ، حيث راح يهبطه وثبًا ، ولـم يتوقـف إلا أمـام باب المنزل محدقًا فى (رامى) ، وهو ينزل من سيارته الواقفـة بالحارة ..

وفوجئ (رامى) هو الآخر بالطفل ، فوقف فى مكانه ينظر إليـه مستطلعًا ، فإذا بالطفل يتقدم منه ، تسبقه نظراته محمومـة بالفرحـة والدهشة ، حتى وقف أمامه ، رافعًا وجهه نحوه فى تساؤل وعتـاب يزاحمان فرحته ، فلم يدر (رامى) بنفسه إلا وهو يختطفـه مـن فوق الأرض ، ليعتصره فـى حضنـه ، ثـم مـا لبث أن نظر فـى وجهه متسائلاً :

ـ أين (وردة) ؟

وكان رد الطفل :

ـ أنزلنى !

أنزله (رامى) ، فإذا بالطفل يأخذه من يده ، قائلاً :

ـ تعال !

ومضى به صاعدًا إلى الشقة ، وإذا بـالفتى وجهًا لوجـه أمـام الوردة فى غرفتها ، والتى كادت تسقط فى مكانها مغشيًا عليهـا ، لولا مسارعتها بتمالك نفسها .. بينمـا الفتـى يسألها فـى خفوت ذاهل :

ـ لماذا يا (وردة) ؟!

ولم تجبه (وردة) .. بل راحت تحدّق فيه ، وهى تحاول جاهدة السيطرة على قلبها ، الذى تسارعت دقاته فى عنف مربك سلبها إرادتها .. وشعر بها الفتى ، فأسرع يأخذ بيدها خارجًا بها إلى الصالة ، حيث أجلسها بكنبة الأنتريه ، وجلس إلى جوارها ، تاركًا نظراته الحانية الحزينة تهدهدها ، حتى إذا ما استردت بعضًا من سكينتها ، عاد يكرر سؤاله عليها فى عتاب حزين :

ـ لماذا يا (وردة) ؟! لماذا جاء ردك بهذه القسوة ؟!

وكان رد الفتاة ، وهى تتصفح وجهه بنظرات لا تقل عنه حزنًا :

ـ ليست قسوة يا (رامى) ، بل الصواب .

ـ أى صواب ؟

ـ الصواب الذى تحتمه أمور كثيرة ، أنت تعلمها جيدًا .

أدرك الفتى ما تعنيه ، فأفلتت منه ابتسامة سخرية رغمًا عنه ، قائلاً :

ـ الحكاية الأزلية .. الحبيبة الفقيرة التى ترى نفسها أقل من حبيبها الغنى .

وكان رد (وردة) :

ـ « أقل » هذه لا تعبر عن المسافة الحقيقية التى تفصلنا يا (رامى) .

طفحت سخرية (رامى) فى نبرته :

ـ أية مسافة يا (وردة) ؟

وهمت (وردة) بأن تجيبه ، فإذا به يسبقها قائلاً :

ـ اصمتى يا (وردة) اصمتى قليلاً واسمعينى !

ورفع الفتى عينيه إلى السقف بنظرة تدبر ، ثم عاد ينظر إلى الفتاة قائلاً :

ـ زمان يا (وردة) ، كان مظهر الفتاة عنوانًا لبيئتها وتربيتها ومستواها الاجتماعى .. كان للثرية مظهر وللفقيرة مظهر .. وللمتعلمة مظهر وللجاهلة مظهر .. وللشريفة مظهر وللوضيعة مظهر .. كان مظهر الفتاة يكفى لتصنيفها .. هذا ما عرفناه من آبائنا .. ولكن ما إن جاء زماننا نحن ، حتى فوجئنا بعدم وجود أثر لهذا المقياس .. فوجئنا بكل الفتيات حسناوات وفاتنات .. كلهن يعرفن كيف يلبسن ، وكيف يتزين ، وكيف يتصرفن ..

كلهن جذابات مرحات .. كلهن نسخ كربونية من بعضهن .. ومن هنا ظهرت المعضلة التى أجهدتنا نحن الشباب ، وما زالت .. كيف نميِّز بين الغث والسمين فى دنيا النساء ؟

وهنا ظهر مقياس آخر ، لم ينتبه إليه إلا أصحاب البصيرة منا .

أتعلمين ماذا كان هذا المقياس يا (وردة) ؟

إنه عفة النفس ..

نعم عفة النفس ..

تلك السمة التى لا يمكن لفتاة التظاهر بها طويلاً أمام إغراءات زماننا هذا ..

والسمة الوحيدة التى لا يمكن أن تأتى إلا من بيئة صالحة وبذرة صالحة ورعاة صالحين .

نعم يا (وردة) ، عفة النفس صارت الضمان الوحيد لصلاحية الفتاة حين تحين لحظة الاختيار .

وحينما تترك فتاة الوظيفة ، هربًا من أصحاب النفوس المريضة ، لتبيع ذرة على قارعة الطريق ..

وحينما ترفض فتاة منات الجنيهات مقابل دعابة تافهة على الطريق .

وحينما تفر هذه الفتاة من عرض زواج بابن مليارديز .

حينما تفعل فتاة كل هذا ، فلابد أن تكون حاملة لهذا الضمان ..

ولابد أن تكون جوهرة أصيلة ..

ولا يمكن لأى ذى عقل أن يفرط فيها .

ومن هنا كان عرضى عليك بالزواج يا (وردة) ..

لم يكن رد فعل وليد موقف ..

ولم يكن عطفًا ..

ولم يكن تحايلاً لغرض منك .

بل كان حبًّا .

وكان اطمئنانًا .

وكان اقتناعًا ..

ومن هنا جئتك أسألك إياها مرة أخرى :

ـ تتزوجينى يا (وردة) ؟

وتعلقت عيناه بالفتاة فى انتظار ردها ، فـإذا بـه لا يتلقَى منهـا إلا الصمت ، فلم يملك إلا أن ينكّس رأسه فى مرارة ، ونهض واقفًا منسحبًا فى هدوء ..

ولكنه فجأة تسمر فى مكانه ، غير مصدق ما سمعه !

إنه صوتها .

صوت الوردة ، وهى تسأله فى رجاء :

ـ هل تحبنى حقًا ؟

استدار إليها بذهوله ، وراح يحدّق فيهـا كالأبلـه ، ممـا جعلهـا تردف قائلة :

ـ أجب ! هل تحبنى ؟

وراحت تتطلع إليه فى انتظار جوابه ، فإذا بفرحته تنبثق فى وجهـه كشلال من الأنوار والألوان ، وإذا بابتسامته الذاهلة تتراقص على شفتيه ، وإذا به يجيبها قائلاً :

ـ لا ..

لا أحبك ..

ولا أطيقك ..

ولن ......

ولم تدعه يكملها .. قفزت فى حضنه تكملها هى :

ـ ولن تتركنى أبدًا .

★ ★ ★

الفصل الخامس

أشعل (صلاح الكوادرى) سيجاره الفاخر ، ثم سأل ابنه :

ـ من تكون ؟

أجابه (رامى) باسمًا :

ـ واحدة من بنات دائرتك الانتخابية يا باشا .

كانا يقفان معًا فى صالون قصر « الكوادرى » ، الذى يعد واحدًا من أفخم قصور « المنصورية » .. وكان « الكوادرى » لايقل فخامة عن قصره ، فقد كان وسيمًا مهيبًا ، تشع منه هالـة الباشوية ورونقها .. أخذ نفسًا طويلاً من سيجاره ، ثم مضى فى استجوابه لابنه :

ـ ابنة من فى الدائرة ؟

ـ يتيمة الأبوين .. وأبوها كان تاجرًا بسيطًا .

ـ أى تاجر فيهم ؟ تجار الحى جميعهم معروفون .

ـ إلاّ هو ، لأنه كان مع نفسه ، يشترى بضاعته من المحافظات ، ويوزعها على التجار فى القاهرة .

ـ أية بضاعة ؟

ـ الذرة .. الذرة والغلال ..

أومأ الباشا متفهمًا ، ثم عاد يسأل الفتى :

ـ ما دراستها ؟

ـ دبلوم تجارة .

فوجئ الباشا ، فى حين أسرع الفتى يقول له باسمًا واثقًا :

ـ قابلها يا باشا .. سأحضرها غدًا للمثول بين يديك ، وبعدها أصدر حكم معاليك عليها .

وكان رد الباشا :

ـ فى المكتب .. لا هنا .

ابتسم الفتى قـائلاً ، وهو يقذف بنظرة شقاوة نحو الطـابق العلوى ، حيث تنام والدته فى غرفتها :

ـ مفهوم يا باشا .. مفهوم .

وجاءت (وردة) إلى الباشا ..

وفـى الطريق اختزل لهـا (رامـى) كل مـا تحتـاج إليــه مـن إرشادات فى جملة واحدة :

ـ الباشا فلانتينو .. نقطة ضعفه الفاتنات .

وفهمت الوردة .. دخلت على الباشا مُهرة مختالة واثقة باسمة .. كان الباشا يجلس خلف مكتبه الضخم ، تحت صورة معلقة له وهو يصافح رئيس الجمهورية .. وكان سيجاره فى فمه ، وعيناه على الباب .. حتى دخلت المهرة الفاتنة فى صحبة ابنـه ، فإذا بعينيه تتلقاها بنظرة فاحصة خبيرة ، وهى مُقبلة عليه بخطواتها الواثقة ، حتى مدت يدها تصافحه قائلة بابتسامة رقيقة :

ـ مساء الخير يا باشا .

وكان رد الباشا فى تحفظ ، ويده فى يدها :

ـ مساء النور .

وتدخّل (رامى) يقدمها له :

ـ (وردة) يا باشا ..

التفت الباشا إلى الفتى بتحفظه قائلاً :

ـ اخرج !

فوجئت (وردة) ، ولكن الفتى الذى يفهم أباه جيدًا ، أسرع يجيبه باسمًا :

ـ أمرك يا باشا .

واستدار منصرفًا ، حتى إذا ما أغلق الباب خلفه ، التفت الباشا إلى الفتاة ، مشيرًا لها بالجلوس ، ففعلت ..

بينما وضع الرجل سيجاره فى فمه ، مطلقًا نظراته الفاحصة على وجهها تنبشها نبشًا ، وكان على الفتاة أن تنقذ نفسها ، فإذا بها تتطلع إليه باسمة قائلة :

ـ هيأنى (رامى) لاستجواب عسير .

وكان رد الباشا دون أن يفك حصار نظراته عنها :

ـ هو سؤال واحد لا أكثر .

أجابته بابتسامتها :

ـ تحت أمرك يا باشا .

ـ ما عملك ؟

ـ بائعة ذرة مشوى .

هكذا أجابته دون أدنى تردد أو خجل .. فإذا بالباشا صامت تمامًا ، وعيناه جامدتان على وجهها لنصف دقيقة أو أكثر .

وفهمت الوردة ..

فهمت أنه صُدم .. فإذا بكبريائها ينتفض منتبهًا .. وإذا بها تشد قامتها إلى أعلى فى شموخ ، استعدادًا للرحيل .

وفطن الباشا إلى نيتها ، فإذا به يسألها :

ـ ماذا ؟ أتريدين الانصراف قبل سماع رأيى ؟

وكان رد الوردة فى أدب ، وبنفس شموخها :

ـ العفو يا باشا .. مجرد الإصغاء إلى سيادتك شرف لى .

وإذا بالباشا ينهض خارجًا من خلف مكتبه مطرقًا ، فنهضت الفتاة واقفة احترامًا .. وإذا به يقف أمامها متصفحًا وجهها بنظرة طويلة ، ثم يقول لها :

ـ ابنى كذاب ، وأنت صادقة .. حين تتولين أمره علميه الصدق !

وسكنت (وردة) سكن كل ما فيها .. إلا عينيها .. انطلقتا تحدقان فى الرجل فى انبهار عاصف ، جعل ابتسامته العزيزة تشرق فى وجهه ، قائلاً :

ـ مبروك يا (وردة) .

وكان رد الوردة قبلة منها على خده ..

أحلى قبلة تلقاها الرجل على امتداد حياته !

* * *

وبدأ الإعداد لليلة العمر .. ولم يعد يفصل الحبيبين عن بعضهما إلا ساعات النوم .. تحولا إلى عصفورين محلّقين ، مغردين ، لاتسعهما الدنيا ..

عصفورين صفت لهما الدنيا ، فأهدتهما أجمل ما لديها : الحب .. والمال .. والشباب .

ها هما يجوبان القاهرة طولاً وعرضًا .. يمرحان ويشتريان ، ويدعوان لحفل زفافهما ..

وفجأة والسيارة تنطلق بهما على الطريق الدائرى يقودها (رامى) ، وصوت (نوال الزغبى) يصدح عاليًا « روحى يا روحى » ، خفضت (وردة) من صوت الكاسيت ، قائلة :

ـ حبيبى !

التفت إليها حبيبها بنظرته الباسمة الحلوة :

ـ نعـــم .

ـ هل يمكننى دعوة واحدة عزيزة علىّ إلى فرحنا ؟

تعجب الفتى :

ـ وما المشكلة ؟

أجابته بشىء من الحرج :

ـ المشكلة أنها بعيدة .. فى « أسيوط » ..

ـ جدتك ؟!

ـ نعـم .

وصمتت فى انتظار رده ، فإذا به يقول لها :

ـ نسيت واحدة أخرى .

قطبت جبينها مفكرة :

ـ مـن ؟

ـ زينات .

ـ زينات من ؟

ـ صاحبتك فى الساحل الشمالى .

انفلتت صيحة (وردة) :

ـ زينات !

ـ لولا (زينات) ما عرفت لك طريقًا .. هى التى منحتنى عنوانك .

انطلقت نظرات (وردة) تحلّق على وجه الفتى ، ثم إذا بها تقول :

ـ أنا الذى تركت لها العنوان عمدًا .. حتى تمنحه لك .

فوجئ (رامى) ، بينما عادت (وردة) تسأله :

ـ لم تجبنى على سؤالى .. أيمكننى السفر إلى جدتى ؟

وكان رد الفتى :

ـ جدتك و(زينات) فى القصر الآن .

وكاد قلب الفتاة يتوقف ، وهى تحدّق مبهورة فى حبيبها العجيب ، وإذا بها تقفز فوقه تحتضنه فى جنون متصايحة ، بينما هو يصرخ فيها ضاحكًا :

ـ يا مجنونة .. السيارة ستنقلب بنا .

★ ★ ★

وأقيم الفرح ..

أضخم وأروع فرح شهدته القاهرة !

اكتظت قاعات قصر « الكوادرى » وحديقته ، التى استغرق إعدادها للفرح أكثر من أربعين يومًا ، بصفوة المجتمع المصرى .

أعضاء مجلس الشعب .. وزراء .. رجال أعمال .. مندوب عن رئاسة الجمهورية .. مفكرين .. صحفيين .. فنانين .. وجيش من أصدقاء وصديقات عائلة (الكوادرى) ..

وفى مقدمة كل هؤلاء كوكبة من مشاهير المطربين والمطربات الذين جاءوا متنافسين على إحياء الحفل مجاملةً للباشا وابنه ..

وظهر العروسان ، فإذا بنظرات الإعجاب والانبهار تنهمر على العروس !

(وردة) !! التى هى فى أساسها (وردة) فاتنة !! بماذا يمكن وصفها ؟ فى فستان الزفاف الذى جىء به من « باريس » ؟

وفى شبكتها الماسية التى تبرق على صدرها ؟ وفى زينتها التى تولاها ثلاثة من أشهر كوافيرات « مصر » ..

كيف يمكن وصفها بعد هذا كله ؟!

وارتقى العروسان مقعديهما فى الكوشة ، لتبدأ ليلة من ليالى ألف ليلة وليلة ..

ليلة غنت فيها الشفاه ..

ورقصت فيها الأجساد ..

ورفرفت فيها القلوب ..

وسكرت بها العقول ..

مهرجان سعادة ، وفيضان من الفرحة والبهجة غمر الجميع ..

إلا واحدًا !!

واحدًا فقط !!

(صلاح الكوادرى) !

بدا واضحًا وهو ينتحى بأحد ضيوفه من كبار رجال الدولة ، فى أقصى طرف الحديقة ، وكأن هناك ما انتزعه من مهرجان السعادة هذا .. فقد بدت على وجهه مسحة لا تخفى من القلق والوجوم ، وهو يتبادل الحديث مع ضيفه ، حتى انتبه الرجلان إلى نظرات الفضول التى ترمقهما ، فأسرعا يستردان بشاشتهما ، وينضمان إلى المهرجان البهيج .. وإذا بعينى الضيف الكبير تقعان على العروس ، فيلتفت إلى (الكوادرى) مداعبًا :

ـ ابن الوز عوام يا (صلاح) يا « كوادرى » .

ولم يجبه « الكوادرى » بأكثر من ابتسامة مجاملة باهتة ، فقد كان صدره فى هذه اللحظة ضيقًا حرجًا ، كأنه يصعّد فى السماء !

★ ★ ★

وانفض المهرجان مع أول خيوط الصباح .. وإذا بـ (صلاح الكوادرى) ينفرد بالعريس فى مكتبه ، حيث وقف أمامه يتأمله بنظرة مترددة طويلة ، قبل أن يسأله :

ـ ما رأيك فى قضاء شهر العسل فى « جنيف » بدلاً من « شرم الشيخ » ؟

شيء ما فى وجه الأب ونبرته استوقف الابن .. وإذا به ينتبه إلى شحوب وجه أبيه ، وإلى ذلك القلق الذى يجاهد فى إخفائه ، ووجد نفسه يسأله فى توجس :

ـ ماذا هناك يا بابا ؟

تطلَّع الرجل إلى ابنه طويلاً بنظرة مطفأة ، ثم أجابه بشيء من الحسم :

ـ ستأخذ عروسك وشقيقها ووالدتك وتسافرون إلى «سويسرا» .

انفجر قلق الابن :

ـ ما الأمر يا بابا ؟

وكاد الرجل يفصح عن دافعه الغامض إلى قراره الغريب المفاجئ ، ولكنه سرعان ما تراجع .. فإذا به يضع يده على كتف ابنه ، قائلاً له فى حنو :

ـ افعل ما أمرتك به يابنى .. أريدك أن تستمتع بأحلى شهر عسل مع عروسك .. ووجود شقيقها معها ، ووجود أمك معك فى « جنيف » سيزيد من سعادتكما .. فهمت ؟

وبالطبع لم يفهم الفتى ، ولم يسترح قلبه .. وظلت عيناه معلقتين بوجه أبيه فى تساؤل مشحون بالقلق .. ولكنه فى النهاية لم يكن يملك إلا الطاعة .. ووجد نفسه يجيب أباه بابتسامة متوترة :

ـ أمرك يا باشا .

* * *

الفصل السادس

- سويسرا !!

تمتمت بها (وردة) كالمسحورة ، وهى تطل عليها من نافذة الطائرة .. إحساس غريب اجتاحها .. انبهار طاغ هبَّ من قلبها ، ومن روحها ، ومن كل حواسها ، وفاح من عينيها ، وهى تعانق بنظراتها المبهورة ، هذه الجنة الأسطورية ، التى طالما سمعت بها وقرأت عنها .. إحساس فتاة بسيطة فقيرة ، بنت حارة لا تجف أرضها من مياه الصرف الصحى على مدار العام ، تجد نفسها فجأة تحلّق فى طائرة ، فوق أجمل وأروع وأنقى بقاع الأرض .. تلك البقعة الوحيدة فى العالم التى أحاطت نفسها بسياج فولاذى من الأمان ، فصلها عن كل صراعات الأرض ، فصارت ملاذًا لصفوة البشر ، ومستودعًا لأمانهم وثرواتهم ..

ووجدت الوردة نفسها تبتسم ، وهى تتذكر حارتها الحبيبة ، وعم « أبو عميرة » بائع العسلية ، وهو يمنحها أصابع العسلية التى كانت تعشقها وهى طفلة وما زالت .. قائلاً لها : « من تأكل

عسلية (أبو عميرة) تصبح يومًا أميرة .. » ووجدت نفسها تتمتم باسمة ، وعيناها تغتسلان بالجنة المنبسطة تحتها :

- ها هى نبؤتك تحققت يا عم « أبو عميرة » !

وانتبه إليها (رامى) ، فابتسم متسائلاً وهو يحتضن كفها الصغير بين يديه :

- فيم ابتسام الأميرة ؟

وجدت نفسها تقبّل كل ما فى وجهه ، بنظرات جياشة تهدر حبًا ، ثم تجيبه بعذوبة ملائكية :

- خطر لى أنى أميرة يا حبيبى .

وكان رد حبيبها ، وهو يروى عينيه بعذوبة حُسنها :

- أنت حقًا أميرة يا (وردة) .

- وأنت حبيبى ، وأميرى ، وكل ما لى فى هذا العالم .

وغاب الحبيبان معًا فى نظرة ارتواء ، تعانقت خلالها روحاهما وقلباهما ، وكل ما فيهما من ينابيع الحب ، حتى حانت

التفاتة من (وردة) إلى (حسن) ، وقد انهمك فى حديث ضاحك مع حماتها الحسناء بالمقعدين المقابلين لهما ، فابتسمت قائلة لحبيبها ، وهى تشير إليهما بعينيها :

ـ الصياد الصغير يغزل شباكه حول الملكة .

وكاد (رامى) ينفجر ضحكًا ، لولا أنه أمسك نفسه بالكاد ، وهو يجيبها :

ـ ما أظنه سيفلح ، فلحمنا ملوكى صعب المنال .

وجاء صوت مضيفة الطائرة ، مهنئًا بسلامة الوصول .. وما لبثت الطائرة العملاقة أن حطت رحالها فى مطار « جنيف » الدولى ؛ لتجد الوردة نفسها أمام مفاجأة جديدة من مسلسل الحلم الأسطورى ، والذى بات واضحًا أنه بلا حدود .. إنها السيارة التى كانت فى انتظارهم بسائقها فى ساحة المطار .. تلك السيارة الخاصة بساسة الأمريكيين ، والتى تعرفها جيدًا من الأفلام والمسلسلات الأمريكية التى كانت تشاهدها فى التليفزيون .. وجدت نفسها تجلس فى صالونها الملكى المنفصل عن كابينة السائق بعازل من الزجاج الأسود ، والمجهز ببوفيه للمشروبات ،

وتليفزيون ، وكمبيوتر ، ونظام اتصال موصول بالقمر الصناعى ، فضلاً عن إمكانية تحويله إلى غرفة نوم بلمسة ذر .. ولم تملك (وردة) إلا أن تميل على أذن حبيبها ، الجالس إلى جوارها ، قبالة حماتها وشقيقها ، تسأله بطوفان دهشتها :

ـ تحفة من هذه ؟

وكان رد الفتى باسمًا :

ـ « الكوادرى » .

ـ يبدو أن « الكوادرى » حكاية عالمية !

ولم يعلق الفتى ، بل أشار لها بأصبعه أن تطل من نافذتها ..

كانت السيارة قد قطعت على الطريق بضعة كيلومترات حين استدارت (وردة) نحو نافذتها ، فإذا بالانبهار يضرب قلبها وعقلها وكل حواسها من عجب ما رأت .. فتنة لا يصدقها بصر ، ولا يحتملها عقل مهما امتلك من خيال .. فعن يمينها كانت بحيرة « جنيف » تمتد بمياهها الزرقاء المتلألئة فى وداعة ورقة ، وكأنها نبع من الزمرد المسال المصفى .. بينما يسارها كله

وعلى امتداد البصر فُرش ببساط من الغابات الخضراء الزاهية ، ومزارع العنب الملون ، وقد نصعت فى خلفيتهـا قمـم جبـال « الألب » المغطاة بالثلج الأبيض الناصع .. ووجدت الفتاة نفسها تتمتم مشدوهة ، غير مصدقة لما ترى :

ـ ما هذا ؟!

وأجابها حبيبها :

ـ « جنيف » يا (وردة) .. جنة الله على الأرض .

وكان رد الفتاة بذهولها :

ـ ويا لها من جنة !

ومضت تسبح فيها بنظراتها ، مُوَضِّئَة عينيها وقلبها وروحها ، وكـل كيانهـا بفتنتهـا لنحـو السـاعة .. وإذا بمدينـة عجيبـة مسترخية على شاطئ البحيرة الزرقاء ، وقد ارتفـع من خلفها جبل شاهق ، يزيد فى ارتفاعـه على الألفى متر ، وترامـى من حولها بساط ساحر من الحدائق والغابات الزاهية الخضـرة ، بينمـا وقفت فوقهـا الشمس تمطرهـا بأشعتها الذهبية ، فبدت وكأنها لؤلؤة حقيقية مذهلة وسط طبق من مفاتن الطبيعة ..

والتفتت الفتـاة إلـى حبيبهـا ، متسـائلة بنظراتهـا المفتونـة ، فأسرع يجيبها :

ـ « مونترو » يا حبيبتى .. مدينة « مونترو » .. المدينـة التى صنعها الشعراء .. فقد اختارها (جان جاك روسو) مسـرحًا لأحداث روايته « هوليز الجديدة » .. وكتب فيها الشاعر الإنجليزى العملاق « لورد بايرون » قصيدته الخالدة « سجين شيلون » .

وكان رد الفتاة ، وهى تعانق المدينة الفاتنة بنظرات ولهة :

ـ لو كنت فى مكانهم ما برحتها أبدًا .

وكان رد حبيبها :

ـ هأنت فى مكانهم يا حبيبتى .

التفتت إليه متسائلة :

ـ ماذا تعنى يا حبيبى ؟

أجابها وهو يلثم وجهها بنظراته الحلوة الباسمة :

ـ هنا ستقضين شهر عسلك ، وإذا شئت شهرًا على الأقل من كل عام .

وكاد قلب الفتاة يتوقف ، وهى تهتف :

ـ هنا ؟!

وأجابها حبيبها بمنتهى الحنو :

ـ نعم يا حبيبتى .. هنـا .. فى مدينـة الشعراء الفاتنة هـذه .. وفى قصر من أجمل قصورها على الإطلاق .

ـ قصر من ؟!

ـ قصر « الكوادرى » .

وفغر فاه الفتاة ، وهى تهتف فى داخلها :

ـ معقول ؟!

ولكن مـا هى إلا دقـائق ، حتى كـانت السيارة تجتـاز بوابـة القصر فعلاً .. و(وردة) تـنزل منهـا غير مسيطرة على حاسـة واحـدة من حواسـها .. انطلقت عيناها تلتهمان القصر التحفة ، المنتصب فى خيلاء على شـاطئ البحيرة الزمردية من ناحيـة ، وتحفه الورود بغزارة من بقية نواحيه ، وكأنه محمول على طبق ورد .

وقادهـا حبيبهـا مـع أمـه وشـقيقها إلـى داخـل القصر ، لتُفاجـأ بنفسها وسط بانوراما فاتنة ، كل ما فيها يفوح رومانسية ورقة وعذوبـة .. الديكور ، الأثـاث ، التحف .. حتـى الأرضيـة بـدت وكأنها بساط من القوارير ، مفروشًا بروائع السجاد الإيرانى التى تغوص فيه الأقدام غوصًا ..

فتنة ! فتنة خالصة أدارت عقل الفتاة ، بينما حبيبها يأخذ بيدها إلى إحدى شرفات القصر ، لتتسمر الفتاة فى مكانها ، وقد راحت تغمض عينيها وتفتحهما مرات ومرات ، مما جعل حبيبها يسألها مندهشًا :

ـ ماذا تفعلين يا حبيبتى ؟

وكان ردها :

ـ أوقظ نفسى من شطحة خيالى .

وكان رد حبيبها بحنوه العذب :

ـ لا يا (وردة) ، ليس خيالاً ، بل حقيقة .. افتحى عينيك !

وفتحت (وردة) عينيها ، لتنساب روحها ، مع خفقات قلبها ، مع نظرات عينيها فـى أبدع وأروع وأعذب مـا خلقـه اللـه علـى الأرض من جمـال .. مياه بحيرة « مونترو » بزرقتهـا المتلألئـة تنساب تحت الشرفة مباشرة ، لـو مدت الفتـاة يدهـا لاغـترفت منها .. حدائق الكروم والعنب الملون والغابات الكثيفة بأشـجارها العملاقة الوارفة وخضرتها الزاهية تترامى عن يمينهـا وعـن شمالها ، على امتداد البصر .. قمم جبال « الألب » تضوّى من خلـف الغابـات والحدائق ، وكأنهـا تيجـان خرافيـة مـن الفضـة الناصعة .. أمّا من أمـام الوردة فقد ظهرت علـى البعـد جنـة مشاهير العالم : « الريفيرا » الفرنسية !!

★ ★ ★

الفصل السابع

فتحت (وردة) عينيها على همسة حبيبها :

ـ صباحية مباركة يا عروس الكون .

ولم يكن فى وصـف حبيبهـا أدنـى مبالغـة ، فقـد كـانت الـوردة الفاتنـة بحق عروسًا للكون فى هذه اللحظة .. كان وجهها ساطعًا متوردًا ، وكأنه قبس من رحيق الورد .. وكان شعرها الكستنائى الحريرى الطويل يتنـاثر فـوق الوسـادة الأرجوانيـة فـى غجريـة وجنون السكران بنشوته .. وكـانت عيناهـا متلألئتيـن حـالمتين ، وكأنهما رُويتا لتوهما بشهد الرُضَـاب .. حلّقت بهمـا علـى وجـه حبيبها ، هامسة له بقلبها المرتوى :

ـ أحبك .

ولم يجبها الحبيب الوسيم بلفظ ، وإنما راح يلثّم وجهها بنظراتـه المفتونة بحسنها ، وهو يجوس بأصابعه فى شعرها ، فأردفت تسأله :

ـ هل تحبنى يا فتى ؟

وكان رد الفتى باسمًا :

ـ لا ..

لا أحبك ..

ولا أطيقك ..

ولـن ..

ولم يكملها ، فقد فوجئ بالفتاة تقفز فوقه فى هجوم عاصف ، وهي تصيح مكملة :

ـ ولن تتركنى أبدًا .

وانطلقت ضحكات الفتى من تحتها ، وهو يصرخ مستغيثًا :

ـ متوحشة .. متوحشة .

فإذا بها تزداد شراسة ، وهي تقول :

ـ متوحشة والقانون يمنحنى حق افتراسك .. ألست زوجى وغنيمتى ؟

ـ سأصرخ مستغيثًا بحماتك .

ـ لن تغيثك منى الأمم المتحدة ذاتها .

مضى يصرخ :

ـ أين أنت يا « بوش » ؟

ـ وماذا سيفعل لك ؟ قد يستأسد على العراق .. على إيران .. لكن عندى أنا لن يكون سوى فأر فى قفص .

وانفجر المسكين ضاحكًا ، وهو يجاهد للفكاك من أسر الصياد المتوحش الجاثم فوقه .. ولم ينقذه سوى صوت أمه منبعثًا من « إنتركوم » على شكل بجعة ، مثبت بمكتبة السرير العاجى الأبيض :

ـ صباح الخير يا (رامى) .. صباح الخير يا (وردة) .

وتوقف الهجوم العاصف ؛ ليجيب الفتى :

ـ صباح الفل يا ماما .

ـ أنا ذاهبة إلى « أمريتا » .

ـ ألن تفطرى معنا ؟

ـ بالهناء والشفاء يا حبيبى ..

واتجهت بحديثها إلى العروس :

ـ (وردة) ! صباحية مباركة يا حبيبتى .. (حسن) يسأل عنك .

وأجابتها العروس :

ـ أنا قادمة إليه حالاً يا ماما .

ـ باى .

وأغلق الجهاز ، لتسأل العروس حبيبها :

ـ ما « أمريتا » هذه ؟

ـ منتجع صحى ، تدخله العجوز فتخرج منه صبية .

ابتسمت مداعبة :

ـ وهل أمك عجوز ؟ إنها أصبى منى .

ابتسم الفتى فى إعجاب :

ـ إنها تجيد الاهتمام بنفسها .

احتضنت وجهه بكفيها :

ـ وأنت تجيد الاهتمام بمن ؟

وكان جوابه ، وهو يروى عينيه بعذوبة وجهها :

ـ بأجمل وردة فى الكون .

ـ إذن قم لتفطر الوردة .

وهبت مسرعة إلى شرفة الغرفة ، والتى راحت ستائرها تنفرج أتوماتيكيًا .. فقد فتحها (رامى) بضغطة زر مثبت بجوار الإنتركوم .. لتجد الوردة نفسها أمام البحيرة والحدائق والغابات والجبل ، يصبّحون عليها .

دقائق ، وكانت الوردة تتوسط حبيبها وشقيقها على مائدة الطعام الضخمة ، وقد حفلت بطعام مصرى خالص ، لم يزد عليه سوى جبن « إيتيفاز » السويسرى الشهير وشرائح التفاح الأمريكى .. وشرعت الوردة فى إطعام حبيبها وشقيقها فى مرح وحنو ، فإذا بها تُفاجأ بـ (حسن) واجمًا صامتًا عازفًا عن الطعام ، فأسرعت تسأله فى جزع :

ـ حبيبى .. ما بك ؟

وأجابها الطفل بوجومه البرىء :

ـ لا شىء .

وتدخل (رامى) :

ـ ما الأمر يا صديقى ؟

وإذا بالطفل يجيبه بنظرة عتاب تمزق القلب :

ـ أنت ظلمتنى يا (آبيه) (رامى) .

فوجئ (رامى) :

ـ أنا يا حبيبى ؟

ـ نعم أنت يا (آبيه) (رامى) .. لم يكن لى فى الدنيا سوى أختى ، وقد أخذتها منى .

كاد قلب العروسين يتوقف من الصدمة ، لولا أن (رامى) أسرع باختطافه فى حضنه ، قائلاً :

ـ لا .. لا يا حبيبى .. هذا لم ولن يحدث أبدًا .. من الآن فصاعدًا لن نفارقك إلا فى النوم .

هتف الطفل :

ـ صحيح يا (آبيه) (رامى) ؟

ـ صحيح يا حبيبى .. هيا أفطر جيدًا ، كى تخرج معنا .. اليوم ستعيش أجمل يوم فى عمرك .

انبثقت الفرحة فى قلب الطفل ووجهه .. هتف متسائلاً :

ـ هل ستنزهاننى ؟

ـ أجمل نزهة لأجمل (أبو على) فى العالم .

وبالفعل .. ما هى إلا ساعة ، حتى كانت السيارة تنطلق بالثلاثة إلى جنة الأطفال فى « سويسرا » .. « بوفريه » .. ليجد (حسن) نفسه فى أجمل وأمتع قطار بخارى مصغر فى أوروبا بأسرها ، وقد انطلق بهم فى رحلة كادت توقف نبض قلوبهم من شدة إثارتها .. فقد اندفع القطار يخترق بهم أنفاقًا ،

ويصعد جسورًا ، ويعبر بحيرات تناثرت على مساحة 17 ألف متر مربع من أرض حديقة البخار السويسرية الشهيرة ..

ومن « بوفريه » إلى « سرفيون » ، ليجد الطفل المحظوظ نفسه فى أجمل حديقة حيوان فى العالم ، والتى ظل يطوف بها ، حتى جلس على الأرض من فرط إجهاده قائلاً :

ـ كفى يا (آبيه) (رامى) .. شبعت .

وكان رد (رامى) وهو يرفعه فى حضنه :

ـ لا يا صديقى .. مازال فى اليوم بقية .

وأسرع (رامى) يضعه فى السيارة ، لينطلقوا ثلاثتهم إلى « جنيف » .. حيث أسرعوا بوضع السيارة فى إحدى ساحات الانتظار ؛ لينطلقوا فى المدينة الفاتنة سيرًا على الأقدام .. ما من شارع إلا ودخلوه .. وما من محل إلا وتوقفوا به .. وما من شىء هفت له نفس (وردة) وشقيقها إلا واشتراه حبيبها على الفور ..

ولاحظت (وردة) أن حبيبها يكاد يكون ابنًا لـ « جنيف » .. فجميع المتاجر التى دخلوها كانت تعرفه ، وترحب به فى سعادة .. حتى عمال ساحة انتظار السيارات بدو وكأنهم كانوا فى انتظاره .. وعاد الثلاثة

إلى القصر بفرحتهم وبضاعتهم .. ووجدت (وردة) نفسها تقول لحبيبها فى دعابة لا تخلو من الحرج :

ـ حبيبى .. كبدناك خسائر فادحة اليوم .

وكان رد (رامى) باسمًا :

ـ بالمصرى .. تسعة آلاف جنيه فقط !

وكادت الفتاة تسقط مغشيًا عليها ، لولا أن (رامى) أسرع بأخذها فى حضنه ، قائلاً فى تبسُّم :

ـ هل تعدّين هذا بذخًا يا حبيبتى ؟ ماما لديها « سابو » بهذا المبلغ !!!!

★ ★ ★

لم تكن (درية) هانم بهذه النعومة التى تبدو عليها .. فمن يقترب منها ليتعامل معها ، أو ينظر فى عينيها سيجد نفسه أمام كتلة من المكر والدهاء والقسوة ، مغلّفة بنعومة الثعالب .. وقد فهمتها (وردة) منذ أول لقاء جمعهما قبل الزفاف .. فهى الأخرى بنت سوق ، وربيبة الحوارى التى تمنح أهلها بصيرة الصقور ..

ومن هنا كان حرصها من البداية على الاحتفاظ بمسافة ثابتة ، تفصلها عنها دائمًا ، تجنبًا لأى صدام قد تفرضه عليها الظروف ، كزوجة ابن فى عرين حماة من هذا الصنف .. ولذلك ما إن لمحتها (وردة) جالسة بالحديقة ، حتى همت بالتراجع إلى داخل القصر ، لولا أن حماتها أسرعت تناديها باسمة فى رقة :

ـ (وردة) !

ولم يكن أمام (وردة) مفر من الإقبال عليها :

ـ صباح الخير يا ماما .

ـ صباح الخير يا حبيبتى .. اجلسى .

وجلست (وردة) ، وبادرتها حماتها باسمة :

ـ ما لى يا فتاة لا أشعر بوجودك معى فى القصر .. هل نحن متخاصمتان ؟

وكان رد (وردة) فى أدب :

ـ العفو يا ماما .. كل ما فى الأمر أننى لا أريد أن أثقل عليك .

ابتسمت الهانم متعجبة :

ـ تثقلين علىّ ؟! لقد صرتِ واحدة منّا يا (وردة) .

ـ هذا شرف كبير لى يا ماما .

وتأملتها الهانم بنظرة باسمة ، ثم عادت تناوشها :

ـ ها .. هنا أفضل أم « باب الشعرية » ؟

وجاءها الرد بلا تردد :

ـ باب الشعرية .

فوجئت الهانم :

ـ باب الشعرية ؟

ـ طبعًا .

ـ طبعًا ؟ « باب الشعرية » أفضل من « جنيف » ؟ كيف ؟

ـ وطنى يا ماما .. وطنى .

ـ وهل معنى أنها وطنك أن تكون الأفضل ؟

ـ طبعًا يا (درية) هانم .

لم تملك الهانم إلا أن تتطلع إلى الفتاة فى سخرية طافحة ، فإذا بالفتاة تقول لها :

ـ سـؤال يا (درية) هـانـم .. لو حدث أن عُرض عليك من هم أجمل من ابنك عشرات المرات ، فهل تفضلينهم عليه ؟

وكان رد الهانم بلا تردد :

ـ لا بالطبع .

ـ هكذا الوطن يا هانم .. بل هو أغلى من الضنا .

وبُهتت الهانم ، وقد عزّ عليها أن تتلقى مثل هذا الدرس من فتاة فى أصل (وردة) ، فأسرعت ترشقها بسكين بشع :

ـ أنت التى تقولين هذا يا (وردة) ؟ وطنكِ هو الذى يصونك من البهدلة .. هو الذى فيه راحتك وعزك .. هو ...

ولم تدعها (وردة) تكمل .. أسرعت تسحقها بضراوة الأسود :

ـ بل وطنى هو الذى فيه جذورى يا هانم .. ومن فات جذوره ضاع أصله .. عن إذنك ..

وهبت واقفـة فى شموخ ، ماضية إلى القصر فى جلال وكبرياء الملكات .. بينما الهانم ترمقها فى غل يكاد يفجّرها فى مقعدها .

★ ★ ★

الفصل الثـامن

انطلقت السيارة « الأوستن » الذهبيـة المكشوفة على طريق بحيرة « جنيف » ، وكأنها فى سباق « رالى » مع القمر الناصع فوق البحيرة .. كان الليل قد ألقى بظلامـه النـاعم على الحدائق والغابات والجبال الفضية الممتدة على يمين الطريق من ناحيـة ، وعلى البحيرة المتلألئة بنور القمر على يساره مـن الناحيـة الأخرى .. وكان الجو ربيعيًا سـاحرًا معطرًا بأنفاس الخضرة .. وكان صوت « ثومـة » يرتفع من كاسيت السـيارة صادحًـا : « والقمر من فرحنا .. من فرحنا .. هينور أكتر .. »

بينما (وردة) تغنـى معها ، وهى تحلّق بعينيهـا الفـاتنتين اللامعتين على وجه حبيبها المنطلق بالسيارة .

وبلغ الحبيبـان الساحران فندق « مونـترو بـالاس » المتلألـئ على ضفاف البحيرة الزمرديـة .. وأسرع الفتـى يتـأبط حبيبتـه ، التـى بدت بفستانها السواريه الأزرق اللامـع ، وبعقـد المـاس النـاصع حول جيدهـا ، وبمكياجهـا الراقـى ، وبشـعرها الحريـرى المسترسل على ظهرهـا ، وكأنهـا ملكـة جمـال فـى طريقهـا إلـى منصة التتويج .

ودخل الفتى الساحر بالملكة إلى قاعة الفندق الرئيسية ، فإذا بها ساطعة مبهرة صاخبة ، تعج بألمع ضيوف «سويسرا» ، فأسرع الفتى يفسر الأمر لعروسه :

ـ إنه مهرجان العنب يا حبيبتى .. أشهر مهرجانات «سويسرا» على الإطلاق ..

ومضى بها الفتى قاصداً مائدتهما المحجوزة لهما ، فإذا بمنظر ما يستوقف العروس .. سيدة ذات جمال وبهاء وهالة عجيبة ، تقف وسط حلقة من الرجال والنساء ، وقد حلّقت من حولها الكاميرات والميكرفونات ، وكأنها نجمة سينما .. مما جعل العروس تسأل حبيبها :

ـ من تكون ؟

وكان رد حبيبها باسماً :

ـ صوفيا لورين .

ذُهلت الفتاة :

ـ « صوفيا لورين » الـ ....

قاطعها حبيبها :

ـ نعـم .

فما كان من (وردة) إلا أنها تسمرت فى مكانها ، وراحت تلتهم النجمة العالمية الفاتنة بنظرات الانبهار والافتتان .. وإذا بصوت مصرى قوى دافئ يسألها من خلفها :

ـ أتودين مصافحتها ؟

وكان رد الفتاة أن التفتت بسرعة إلى صاحب الصوت ، هاتفة فى لهفة طفولية طاغية :

ـ ممكن ؟!

فإذا بالرجل الذى كان يقارب الأربعين من عمره ، يسرع باستئذان (رامى) ، ثم يأخذ بيدها ، مخترقاً بها الحلقة المضروبة حول النجمة العالمية ، حتى إذا ما بلغها ، خاطبها بالإيطالية قائلاً :

ـ نجمتنا الفاتنة .. هذه الطفلة الكبيرة تريد مصافحتك .

وكان رد النجمة العظيمة ، أن مدت يدها بسرعة تصافحها فى حرارة وتبسم ، وهى تسألها بالإيطالية :

ـ ما اسمك ؟ ومن أين ؟

التفتت (وردة) إلى الرجل مستغيثة به ، فأسرع يترجم لها سؤالى النجمة .. فكان رد (وردة) عليها فى فرحة وبراءة :

ـ اسمى (وردة) .. من « مصر » .. من حوارى حى شعبى اسمه « باب الشعرية » .

وإذا برد « صوفيا » باسمة :

ـ وأنا من حوارى « نابولى » .

وأخذتهـا فى حضـنها ، وقد أُخذت ببراعتها وعذوبة جمالها .. وعاد الرجل بالوردة المحظوظة إلى عريسـها ، والـذى كـان مستغرقًا فى تأمل ما يحدث لوردته بدهشة وفرحة ، حتى أعادها الرجل له ، فأسرع يشكره بحرارة ، ثم يسأله فى إعجاب :

ـ حضرتك مصرى ؟

وأجابه الرجل فى شياكة :

ـ (إبراهيم لطفى) .. من « الوايلى » .

هتفت (وردة) بفرحتها الطفولية :

ـ « الوايلى » ؟!

وكان رد الرجل فى فخر :

ـ نعم .. من شارع عشرة .. أشهر شارع فى الوايلى .

وتدخل (رامى) فى فرحة :

ـ وماذا تفعل هنا يا بن « الوايلى » ؟

ـ أمارس وظيفتى .. فأنا رئيس لجنة الشئون الأوروبية بالسفارة المصرية فى « سويسرا » .

هتف (رامى) :

ـ إذن فقد صار لنا ظهر فى « سويسرا » .

وكان رد الرجل ، وهو يناوله بطاقة تليفوناته :

ـ أنا تحت أمركما .. إذا احتجتما لى فى أى شىء ، لا تترددا فى طلبى .

وكان رد (رامى) ، وهو يناوله بطاقة تليفوناته هو الآخر :

ـ حضرتك مدعو على العشاء فى قصرنا غدًا .

هتف الرجل مندهشًا مداعبًا :

ـ ما هذا ؟ هل أنتما من أصحاب القصور ؟

أجابه (رامى) باسمًا :

ـ قصر « الكوادرى » .. « مونترو » .. نحن فى انتظارك غدًا .

وكان رد الرجل ، وهو يصافحهما فى حرارة :

ـ إن شاء الله .

واستدار منصرفًا .. بينما مضى (رامى) بعروسه ، قاصدًا مائدتهما بمطعم « جينارد مونترو » بالفندق .

★ ★ ★

وجاء الضيف المصرى إلى القصر ، تضىء وجهه بشاشة المصريين أولاد البلد .. وجلس مع العائلة حول مأدبة العشاء .. مأدبة مليارديرات بكل ما يعنيه الوصف .. من اللحوم فقط تسعة أصناف .. من النعام إلى الحمام .. أشهى ما جادت به أرض «سويسرا» من فاكهة .. أشهى ما أبدعته الأيدى السويسرية من حلويات .. فضلاً عن كئوس العصائر ، وزجاجات المياه المعدنية المسحوبة توًا من آبارها .. شىء يصعب وصفه !

ومع ذلك لم يضع الضيف فى فمه أكثر من قطعتى لحم .. تراجع بعدها إلى الوراء ، مما أثار دهشة الجميع ، وجعل (وردة) تسأله متعجبة :

ـ ماذا يا (إبراهيم) بك ؟ ألا يعجبك الطعام ؟

وكان رد الرجل فى أدب :

ـ العفو يا هانم .

وتدخّل (رامى) :

ـ لماذا لم تأكل إذن ؟

ـ من سوء حظى أن معدتى متوعكة منذ ثلاثة أيام .

وكان رد (وردة) :

ـ ألف سلامة يا (إبراهيم) بك .

فى حين قال (رامى) :

ـ إذن سنعتبر هذه الدعوة وكأنها لم تكن ، وسنكررها بعد شفائك .

ـ إن شاء الله .

ولم يفطن أحد من العائلة إلى تلك النظرة الغامضة ، التى انطلقت من عينى الرجل ، طافحة بالسخط والامتعاض وهو يستعرض المأدبة التى تكفى تكلفتها لكسوة سكان حى بأكمله .

★ ★ ★

صاح (رامى) فى هاتفه المحمول :

ـ محمود !

متى وصلت ؟

تعال حالاً .. أنا فى انتظارك .

وجاء (محمود) السكرتير الخاص لـ (صلاح الكوادرى) .. واحتفت بـه العائلـة .. ثم انفرد بـه (رامـى) فـى غرفـة مكتبـه بـالقصر ، لأكثر من ثـلاث سـاعات .. انصرف بعدهـا الضيـف ، ولكن بعد أن ترك مضيفه فى حال غير الحال .. ولاحظت (وردة) تبدل حال حبيبها ، فأسرعت تسأله عما به فى قلق ، فأجابها بأن أبيه مريض فى المستشفى .. وكان رد الفتاة بلا تردد :

ـ إذن هيا نعود إلى « مصر » فورًا .

وكان جواب (رامى) :

ـ لا .. سننتظر حتى نرى إذا كان الأمر يستحق .

دُهشت (وردة) :

ـ يستحق ؟! وهل مرض بابا أمر لا يستحق ؟

أجابها مهونًا الأمر عليها :

ـ قد تكون وعكة بسيطة ، أو إرهاق زائد ، فهو يجهد نفسـه أكثر من اللازم .

ـ ولو .. لابد أن نكون بجواره .

أسرع الفتى يأخذها بين يديه ، وقد ارتوى قلبه بنبل شعورها .. ووجد نفسه يقول لها باسمًا :

ـ لا تخافى على « الكوادرى » .. إنه كالقطط بسبعة أرواح .

وكان ردها بمنتهى الحنو :

ـ ليس له سوانا .

ـ لو احتاج الأمر سنسافر إليه .

وجاءهما (حسن) متسائلاً فى تبرم :

ـ ألن نخرج كما وعدتمانى ؟

وأجابته (وردة) واجمة :

ـ لا يا (حسن) .

وإذا بـ (رامى) يقول لها :

ـ لماذا ؟ خذيه وخذى السيارة بالسائق وتنزها فى « جنيف » .

دُهشت (وردة) :

ـ نخرج وحدنا ؟ وهنا فى (جنيف) ؟

وكان رد حبيبها ، وهو يناولها « الفيزا كارت » :

ـ هذا سيمنحكما متعة لا تتخيلينها

وابتسمت (وردة) لذكاء حبيبها .. فما أجمـل إحساس الأنثى بالانطلاق دون قيود .. ولو كانت قيود الزوج الحبيب .

★ ★ ★

وانطلقت (وردة) بـ (حسن) فى يدها فى شوارع «جنيف» ..

عصفوران .. بريئان .. نقيـان .. بسيطان بساطة المعتمدين على ربهم ..

انطلقا يلهوان ، ويمرحان ، ويدخلان نفس الشوارع والمتـاجر التى دخلاها مع (رامى) ، ولكن بإحساس مختلف تمامًا .. إحساس بالانبهار والسعادة والزهو لقيامهمـا بذلك بمفردهمـا .. ووجدت (وردة) نفسها تسأل (حسن) مبهورة ، وهمـا يمرحـان فى شـارع «ثالبيرج» ، ملتهمين الآيس كريم الذى فى أيديهما فى نهم :

ـ هل تشعر بما أشعر به يا (أبو على) ؟

وكان رد (حسن) فى مرح :

ـ تقصدين حلاوة الآيس كريم ؟

ـ لا يا غبى .. أقصد : هل تصدق أننا نمرح ونلهو فى شوارع «جنيف» بمفردنا ، وكأننا فى حوارى « باب الشعرية » ؟

وإذا بها تهتف متسائلة بانبهار ودهشة الأطفال :

ـ أين أنت يا حـارة « شـق الثعبـان » ؟ أين أنـت يـا حـارة «درب سـعادة» ؟ أين أنت يـا عم (أبـو عميرة) ؟ ويـا خالـة (نفّوسة) ؟ ماذا سيكون ردكم لـو أننـى أخبرتكم بـأننى قطعت «جنيف» شارع شارع ومحل محل أنا و (أبو على) بمفردنا ؟

وأجابها (حسن) :

ـ سيطلبون قطعة منها .

دُهشت (وردة) :

ـ قطعة من ماذا ؟

ـ من « جنيـف » يـا أم مـخ لاسع ؛ لأنهم سيحسبونها لحمًا مستوردًا .

وانفجرت (وردة) ضاحكة ، حتى كادت تسقط على الأرض .. وإذا بصوت رجل ينادى :

ـ (وردة) هانم !

تسمرت (وردة) فى مكانها .. التفتت فإذا بـ (إبراهيم لطفى) فى سيارته .. هتفت بفرحتها الطفولية :

ـ (إبراهيم) بك !

أسرع الرجل بالنزول لهما ، ومصافحتهما :

ـ ماذا تفعلان هنا ؟

أجابته (وردة) :

ـ نتنزه .

ـ بمفردكما ؟ أين (رامى) باشا ؟

ـ فى القصر مشغولاً عنا .

ـ إذن هيا معى .

ومضى بهما إلى حديقة رائعة ، حافلة بالموائد وألعاب الأطفال ، والتفت إلى (حسن) قائلاً :

ـ هيا يا (أبو على) اشبع لعبًا .

انطلق الطفل فى فرحة غامرة ، بينما جلس الرجل و(وردة) حول أحد الموائد ، ثم بادر الرجل ضيفته قائلاً :

ـ ما رأيك فى كوب شاى مصرى أصيل ؟

وكان رد (وردة) فى سعادة :

ـ عجّل به .

وجاء الجرسون بالشاى ، وراح يرتشفانه ، ثم عاد الرجل يسألها :

ـ لماذا لم يأت (رامى) باشا معكما ؟

ـ إنه متكدر بعض الشىء .

ـ لمـاذا ؟

ترددت (وردة) قليلاً ، ثم أجابته :

ـ جاءته أنباء بأن والده مريض فى المستشفى بالقاهرة .

هنـا اختفت بشاشـة الرجل من وجهـه ، وأطرق إلى الأرض بنظرة حائرة ، أثارت دهشة (وردة) ، فأسرعت تسأله :

ـ ماذا هناك يا (إبراهيم) بك ؟

رفع الرجل وجهه نحوها ، وراح يتأملها بحيرتـه لبرهـة ، ثم أجابها :

ـ « الكوادرى » ليس فى المستشفى .. « الكوادرى » فى السجن .

أسرعت الفتاة تكتم فمها بيدها من شـدة الصدمة ، ثم غمغمت بصدمتها :

ـ مـاذا ؟!

ـ هذه هى الحقيقة يا (وردة) هانم .. « الكوادرى » فى السجن .

ـ لمـاذا ؟

ـ أخذ أموالاً طائلة من البنوك المصرية ولم يردها ..

ـ تعثر فى السداد ؟

وكان رد الرجل فى مرارة :

ـ هو لا ينوى السداد من الأصل .

ـ كيف ؟

ـ لقد قام بتهريب هذه الأموال إلى هنا ، عازمًا على عدم ردها .. والحكومة المصرية تحاول معه الآن دون جدوى .

جبل من صخور تهاوى فوق رأس الفتاة الرقيقة ، فمزّق كل ما فيها بلا رحمة .. راحت فى نوبة عميقة من الصمت والذهول .. ولكنها فجأة انتبهت إلى الرجل متسائلة :

ـ كيف علمت بكل هذا ؟

وإذا بالرجل يقول فى أدب :

ـ أنا العقيد « أحمد سامح » من مباحث الأموال العامة المصرية .

تسمرت نظرات الفتاة المذبوحة على وجه الرجل ، بينما أطرق هو فى اختناق ، ثم ما لبث أن رفع وجهه الحزين نحوها ، قائلاً :

ـ حينما فشلت الحكومة مع « الكوادرى » ، وجدت نفسها أمام السؤال العسير : « كيف يمكن استعادة هذه الأموال ؟ »

إنها محفوظة هنا فى بنوك « سويسرا » فى حسابات سرية باسمى زوجته وابنه (رامى) .. وهذا يجعل أية محاولة لاستردادها دربًا من دروب المستحيل لسببين .. أولهما : أن القوانين السويسرية تمنع الكشف عن حسابات مودعى البنوك ، وتمنع الحجز عليها تحت أية ظروف .. وثانيهما : هو سرية حسابات « الكوادرى » هنا فى بنوك « سويسرا » .. فلا أحد يعلم بأرقام هذه الحسابات وبياناتها سوى « الكوادرى » وزوجته وابنه ، حيث يحتفظ كل منهم بـ « C.D » عليه هذه الأرقام والبيانات ..

وسكت الضابط قليلاً من فرط غمه ، ثم أردف قائلاً :

ـ من هنا صار الأمل الوحيد أمام الحكومة المصرية فى استرداد هذه الأموال هو الوصول إلى واحد من هذه السيديهات ولكن .. من ذا الذى يستطيع هذا سوى شخص فى قلب العائلة ؟

وإذا بعينى الضابط تتعلقان بوجه الفتاة ، وهو يكمل سؤاله :

ـ بخلاف « الكوادرى » وزوجته وابنه طبعًا ..

وانتفضت (وردة) !

انتفضت محدقة فى الضابط بذهولها العاصف ، وقد أدركت غرضه ..

وجدت نفسها تغمغم بذهولها :

ـ أنا ؟!

وكان رد الضـابط ، ونظراته تتعلق بهـا ، بكل ما بداخلـه من مرارة ومن رجاء :

ـ نعم يا (وردة) .. أنت .. ليس فقط لأنـك فـى قلب العائلـة ، وقريبـة جـدًا مــن هــذه السيديهات .. ولكن لأنـك (وردة) .. بنت « باب الشعرية » ..

بنت حارة « شق الثعبان » ..

بنت تحمل رائحة تـراب حارتهـا فـى صدرهـا ، ويزدحـم قلبهـا بوجوه أهلهـا وجيرانهـا وأصدقائهـا الطيبين البسـطاء ، وتهفـو نفسها إلى إسعادهم جميعًا ولو على حساب نفسها ..

بنت دفعتها عفة نفسها وتربيتهـا الحـلال ، لأن تبيـع ذرة علـى قارعة الطريق .

وعاد الضابط إلى إطراقه الحزين للحظـة ، ثـم عـاد ينظـر إلـى الفتاة بأخوّة قائلاً :

ـ أنا مثلك يا (وردة) .. ابن حـارة فقيرة جدًا فـى « حلوان » .. ويصعب علىّ أن أصف لك ما لاقاه أبى وأمــى فـى سبيل تربيتـى أنـا وإخوتى الأربعة .. كنا أحيانًا كثيرة لا نجد طبق الفول المدمس .. وفى أحيان أخرى كانت أمنا تذهب آخر النهار إلى سـوق خضـار بجوارنا لتأتينا بشىء من مخلفات الخضار التى يتخلص منها الباعة فى نهاية يومهم ، زاعمة لنا أنها اشترتها حتى لا تجرح مشاعرنا .

وأطلق الضابط زفرة نارية من أعماق صدره ، ثم إذا به يسألها :

ـ هل تذكرين ملاحظتك بعزوفى عن الطعام فى عشاء القصر ؟

وأردف دون انتظار لجوابها :

ـ لقد فوجئت لحظتها ـ وأنا عاجز عن حصـر أصنـاف الطعـام التى أمامى ـ بهذه الذكريات المريرة تهاجمنى ، لتنبهنى إلى أنـه هناك ملايين من أهلنا المساكين ، ما زالوا لا يجدون طبق الفـول المدمس ، ومازالوا يعيشون على مخلفات الأسواق ، بينما المأدبـة التى أعددتموها لى وحدى تكفى تكلفتها لإطعام حى بأكمله .

وللمرة الثانية انتفضت الفتاة ، وقد تبللت عيناها بـالدموع ، بينمـا أردف الضابط باختناقه ومرارته :

- هل تعلمين يا (وردة) حجم الأموال التى نهبتها هذه العائلـة من بنوك « مصر » ، وتحتفظ بها هنا فـى بنـوك « سويسرا » ؟ مائتى مليون دولار !!

مليار جنيه مصرى يا (وردة) !!

مليار جنيه !! بخلاف القصور والشركات والسيارات والمجوهرات والتحف الأثرية !!

شىء كثير ..

شىء يجعل الحجر يصرخ سخطًا وألمًا ..

وصمت الضابط ، وقد بدا وكـأن حبلاً غليظًا مدببًا يعتصر عنقـه ، بينما (وردة) تحدق فيه ذاهلة دامعة مذبوحة ، عـاجزة عن أى تعليق ، حتى ختم الضابط حديثه المرير قائلاً :

- قوت شعبنا الطيب .. قوت الملايين من الناس البسطاء الكـادحين ، والتى أنتِ واحدة منهم فى رقبتك الآن يا (وردة) .. فى رقبتك .

ونهض واقفًا منسحبًا بغمه .

* * *

الفصل التاسع

أهكذا فى لحظة تتحول أنوار الشموع إلى حرائق ؟!

أهكذا فى لحظة تبدّل الحياة ضحكتها الحلوة بزعيق البوم ؟!

أهكذا فى لحظـة تتبدّل الفرحـة فى القلوب إلى عذاب أسود لا يرحم ؟!

أهكذا فى لحظة تتحول أحلامنا إلى كوابيس تخنقنا ؟ تفزعنا ؟ تطلى الدنيا فى عيوننا بالسواد ؟!

أهكذا ترفعنا الدنيا إلى سمائها ، حتّى إذا ما صدّقنا أننـا صرنـا عصافير وطيورًا ، أسرعت تقـذف بنـا فـى أوديـة جحيمهـا بلا رحمة ؟!

لمـاذا ؟!

لمـاذا ؟!

هكذا وقفت (وردة) وحيدة على شاطئ بحيرة « جنيف » ، يدوّى صراخها فى داخلها كقذائف من نار ، بينما دموعها تنهمر من عينيها شلالات ، وحزنها يعتصر قلبها العصفورى الرقيق بلا رحمة أو هوادة .

واندفعت مشاهد مشوار حياتها منذ أن فتحت عينيها على الدنيا تجرى أمام عينيها كشريط سينمائى مجنون أفلت من عقاله .. رحلة لا تُعقل ولا تُصدق من حارة « شق الثعبان » إلى « جنيف » ، وقصر « مونترو » .. أى خيال يستطيع أن يصوغ رحلة كهذه ؟!

ولكنه القدر ..

القدر الذى يحتفظ فى جعبته بما يفوق قدرات ملوك الخيال مجتمعين ..

القدر الذى لف بها هذه اللفَّة الطويلة العجيبة ليضعها فى هذا الموقف ، الذى لا تحتمله جبال الأرض مجتمعة !!

حبيبها ..

وجنتها ..

وعزها ..

وعز ذريتها كلها من بعدها فى كفة .. وحقوق الناس المسلوبة فى كفة .

أى اختبار مرير هذا ؟!

ماذا تفعل الآن ؟

ورفعت المسكينة عينيها إلى السماء مستغيثة ، فإذا بصوت الضابط يأتيها مجيبًا ، وكأنه صوت السماء :

ـ قوت شعبنا الطيب .. قوت الملايين من الناس البسطاء الكادحين ، والتى أنت واحدة منهم ، فى رقبتك يا (وردة) .

★ ★ ★

وعادت الوردة المذبوحة إلى القصر ، ليتلقاها حبيبها بين يديه ، مفزوعًا عليها من دموعها واحتقان وجهها .. وأسرع يسألها عما بها ، فكان ردها وهى تحلّق بنظراتها المذبوحة على وجهه :

ـ لا شىء !

وانسحبت من بين يديه إلى غرفتها ، لتكمل إبحارها الدامى مع نفسها .. دون نوم .. دون طعام .. دون حديث .. فقط تفكير فى تفكير فى تفكير .

تفكير انتهى بها إلى أخذ سلسلة مفاتيح الحبيب من جيبه وهو نائم ، وفتح خزانته الحديدية القابعة فى إحدى غرف القصر ، لتجد يدها قابضة على الـ « C.D » .

★ ★ ★

وبيد مرتعشة ، وقلب يكاد يتوقف عن النبض من هول الموقف ، وضعت (وردة) الـ « C.D » في يد الضابط ، وهما واقفان في مكتبه الذى خُصص له في السفارة المصرية في « برن » ، ليسرع الضابط ومعاونوه بالجلوس أمام جهاز الكمبيوتر ، والدخول عبر « الإنترنت » إلى مواقع البنوك التى تحتفظ بـ « النهيبة » ، وليتم تحويلها كاملة إلى البنك الأهلى فى « مصر » .. بينما (وردة) تجلس معهم غارقة فى ذهولها وصمتها .. وإذا بعينيها تقعان على صحيفتى « الأخبار » و« الأهرام » المصريتين على مكتب الضابط ، وقد فُتحتا على صور « الكوادرى » محبوسًا ، وأخبار جريمته .. وإذا بالضابط ومعاونيه يفاجئون بها تنطلق جريًا ، مختطفة الصحيفتين فى يدها .

* * *

ودخلت الفتاة بالصحف على زوجها ، وهو واقف فى بهو القصر ، فإذا بيده متسمرة بموبايله على أذنه ، فى ذهول يبلغ شفا الجنون ، وهو يسأل محدثه على الطرف الآخر :

ـ الحساب كله ؟!

من فعل هذا ؟!

وإذا بالرد يأتيه من خلفه :

ـ أنا !

استدار بذهوله ليُفاجأ بـ (وردة) منتصبة فى مدخل البهو ، كأسد غاضب مهيأ للانقضاض .. حدق فيها مذهولاً :

ـ أنت يا (وردة) ؟!

وكان ردها ، وهى تتقدم منه فى جسارة وتحفز :

ـ نعم أنا يا (رامى) .

ـ لماذا ؟

ـ لأن هذا هو الصواب .

ـ أى صواب ؟

ـ رد الحق لأهله .

ازداد ذهولاً :

ـ وما نحن إذن ؟ ألسنا أهله ؟!

ـ لا .. أنتم لصوص .

قذيفة اخترقت رأس الفتى .. غمغم كالمجنون :

ـ لصوص ؟! نحن لصوص يا (وردة) ؟

وكان رد الفتاة ، وقد طغت جسارتها إلى حد لا يُصدق :

ـ نعم يا (رامى) .. أنتم لصوص .. استبحتم قوت أهلى ودماءهم وعرقهم .

وإذا بالسؤال يأتيها من الهانم ، وهى تهبط السلم الرخامى :

ـ وهل لك أهل يا (وردة) ؟

وإذا بـ (وردة) تستدير نحوها ، مطبقة عليها بنظراتها النارية الجسورة ، وتجيبها فى شموخ مترع بالسخط :

ـ نعم لى أهل يا هانم .. كل الناس الشرفاء ، البسطاء ، الكادحين الذين يملئون شوارع وحوارى «مصر» هم أهلى ..

أهلى هم الناس الصابرون الذين يقضون حياتهم فى قتال مرير من أجل لقمة عيش حلال .. أهلى هم الناس القانعون المتعففون ، الذين يرضون بما قسم اللـه لهم ، ولا ينظرون أبدًا إلى ما فى أيدى غيرهم ..

أهلى يا هانم هم الملايين الذين استبحتم لأنفسكم لقمة عيشهم ، وحبة دوائهم ، وحقهم فى الحياة .

وطفح سخط الدنيا كله واحتقارها فى نبرة الفتاة ، وهى تنقل بصرها بين الهانم وابنها متسائلة :

ـ ما أنتم ؟ أخبرونى ما أنتم ؟ ما جنسكم .. هل مات فيكم الإحساس إلى هذا الحد ؟ إلى حد أن تخنقوا ملايين من الناس بهذه البساطة ؟

مليار جنيه ؟!

مليار جنيه ؟! بخلاف الشركات والقصور والسيارات والمجوهرات ؟!

مليار جنيه مخزونة لحين الحاجة ؟!

يفتح كم بيت هذا المليـار ! يزوج كم شـاب وفتـاة ! يبنى كم مستشفى ! ينقذ كم مريض !

واحتقن وجه الفتاة بشدة ، وتهدج صوتها من وطأة النار التى انفجرت فيها من الداخل ، وهى تسأل الهانم وابنها :

ـ أتعلمين يا (درية) هانم ؟ أتعلم يا (رامى) باشا ؟ أتعلمـان كيف مات أبى الذى كـان يعولنـا ؟ والـذى لـم يكن لنـا فـى الدنيا سواه ؟ مات لأننا عجزنا عن شـراء تذكرة دواء لـه ، لا يتجاوز ثمنها خمسين جنيهًا .

خمســون جنيهـًا كـانــت سـببًا فـى موت أبـى ، وبهـدلتنـا من بعده ، بينما حضرتك يـا هـانم تدخلين الحمـام بـ « سـابو » ثمنــه تسـعة آلاف جنيــه .. وبعــد ذلــك تلومـانتنــى علــى ما فعلـت ؟

وسكتت الفتاة ؛ لتجيبها الهانم بهدوء عجيب :

ـ لا يا (وردة) .. لن نلومك .. بل سنشكرك ..

ولكن ..

بطريقتنا ..

وضغطت الهانم زناد المسدس الذى ظهر فجأة فى يدها ..

لتنطلق الرصاصة المجنونة ..

لتستقر فى قلب .... (رامى) .

ولتجد (وردة) نفسها جالسة على الأرض ، محتضنة حبيبها فى صدرها ، محاولة إيقاف الدم المنبثق من قلبه ، وهى منفجرة فى البكاء ، مخاطبة حبيبها فى ذهول :

ـ قتلتك .. أنا التى قتلتك .. أنــا ..

وكان رد حبيبها بآخر أنفاسه ، وهو ينظر إلى أمه المستغرقة فى الضحك :

ـ لا يا حبيبتى .. الذى قتلنى هو المال الحرام .. المال الحـرام قتلنى ، وذهب بعقل أمى .. وأدخل أبى السجن .

أما أنت فقد طهرتِنى يا (وردة) ..

طهرتِنى وأنقذتِنى ..

نعم أنقذتِنى ..

فقد كنت سأكمل مسيرة الحرام التى ورثتها رغمًا عنـى ، وكنت سأورّثها لمن بعدى .. وكنت سأُحاسب من ربى على كل هذا .. ولكن رحمة ربى شاءت أن تنقذنى .. وبيد حبيبتى ..

فلا تحزنى يا حبيبتى ..

لا تحزنى ..

بل افرحى لتطهرى ، ولنجاتى من مصير المغضوب عليهم .

وسكت الفتى لحظة مغالبًا سكرة الموت .. ثـم إذا بوجهـه يشرق بابتسامة ملائكية تقطر عذوبة ، وهو يداعب حبيبته :

ـ أنا لا أحبك ..

ولا أطيقك ..

ولـن ...

وإذا بحبيبته تقاطعه هامسة ، وهى تملأ عينيها الدامعتين من عذوبة وجهه :

ـ ولن تتركنى أبدًا .

ولكن الفتى فعلها هذه المرة ..

تركها ..

أغمض عينيه فى حضنها إلى الأبد ..

وفى حركة ذهول لا إرادية رفعت الفتاة وجهها الذاهل .. فـإذا بملايين مـن وجوه أهلها الطيبين القانعين البسطاء يتزاحمون عليها ، متسابقين فى هتافاتهم :

ـ (رامى) لم يتركك ..

كلنا (رامى) ..

كلنا نحبك مثل (رامى) ..

وأكثر ..

[انتهــت]

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

زهور

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



فوزى عوض

زائرة جنيف

وكان رد ، وردة ، على النجمة العالمية :

- اسمي ، وردة ، .. من ، مصر ، .. من حوارى حى شعبى اسمه ، باب الشعرية ، ..

وإذا برد ، صوفيا لورين ، باسمة :

- وأنا من حوارى ، نابولي ، ، وأخذتها فى حضنها !

105

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية



الثمن فى مصر 300 قرش
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم